القاهرة والحب الأول

obeikandl.com

القاهرة والحب الأول

صدر العمل الأصلي عن دار نشر كلوب في ألمانيا Klopp Verlag
بعنوان Erste Liebe Kairo

رواية
هنريتا فيش / ألمانيا
ترجمة: خالد طوبار
الطبعة الأولى/ القاهرة ٢٠٠٨
رقم الإيداع: ٢٠٠٨/١٠٤٢١
ISBN: ٩٧٨-٩٧٧-٦٢٩٩-٠١-٦

وكالة سفنكس للفنون والآداب

٧ شارع معروف الدور السابع

وسط البلد – القاهرة

ت/٠٠ ٠٢ ٢٥٧٩٢٨
www.sphinxagency.com
info@sphinxagency.com

obeikandl.com

هنريتا فيش

القاهرة والحب الأول

ترجمة: خالد طوبار

وكالة سفنكس للفنون والآداب

obeikandl.com

obeikandl.com

تم دعم هذا الكتاب عن طريق مشروع Litrix.de

“the publication of this work was promoted by funding from Litrix.de, a project initiated by the federal cultural foundation, Germany, in cooperation with the Geothe-Institut and the Frankfurt Book fair.

obeikandl.com

obeikandl.com

يجب أن نتعرف على الحضارات الأخرى ونتلاقى معها بثقة في أنفسنا، ويجب أن نعلم أولادنا أن يعتمدوا على أنفسهم في تعرفهم على الآخرين وألا يتحمّسوا بتطرف لشيء قبل أن يعرفوه أولا، وعندما يعجبهم شيء يجب أن يفكروا فيه ويحللوه ويجربوه، حيث إنه بذلك فقط يمكنهم أن يرفضوا الشيء أو يغيروه أو يقبلوه.

كلمة نقلتها المؤلفة عن الأديب الكبير نجيب محفوظ

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الأول

"القاهرة! هذه نكتة، أنتم تمزحون بالتأكيد"

وضعت كاميرا الفيديو جانبا. يبدو أنني كنت متأكدة من أنني لن أنسى هذه اللحظة طوال حياتي أبدا، وبالتالي لن أحتاج إلى تصويرها، لهذا ضغطت على زر التوقيف.

قال أبي:

"ماذا جرى، القاهرة مدينة رائعة، أنت تعرفين أنني منذ أن ذهبت إلى هناك، منذ ثلاثة أعوام، والمدينة لا تفارق خيالي"

ينهض من مكانه ويتحرك في الغرفة جيئةً وذهابا، كان الشرار يطقطق من عينيه.

"كات أوقفوا التصوير! المصيبة أني لست في فيلم بل في الحقيقة"

أمي تطل عليَّ بنظرتها الحنونة والناعمة التي أكرهها:

"كيارا، يا حبيبتي، أنت تعرفين أنه ينبغي أن نقرر سريعا قبل ميعاد انتهاء المهلة المحددة، والموضوع ليس بجديد عليك"

أقول:

"نعم هذا صحيح، الموضوع ليس جديدا، فنحن نقضي بعض السنوات في الخارج، أدرس في إحدى المدارس الألمانية، حيث يمكنني الحصول على حصص في مادة الفنون، ليس لدي مانع في الذهاب إلى إسبانيا، فرنسا، سويسرا، لكن المصيبة التي تأتوني بها هذه المرة هي مصر"

يقول أخي هانو:

"والله عسل، كل أصحابي سيُجَنُّون عند سماعهم الخبر"

كنت متأكدة أن أخي الأكبر سيخذلني هو الآخر، لأنه يشمشم على مغامرة جديدة، وطبعا كلما كانت المغامرة أكثر جنونا، كانت أفضل بكثير.

يجلس أبي مقتربا مني مرة أخرى:

"أنت على حق يا كيارا، يجب أن نتشاور في الأمر، أي مكان تفضلين الذهاب إليه؟"

"باريس، أنا أحب هذه المدينة وأجيد اللغة الفرنسية ويعجبني الطعام الفرنسي، وأجمل شيء هناك طبعا السينما، وسيكون بوسعي أن أشاهد أخيرا فيلم "إيملي" الأصلي، وكل أفلام إيمانويل بير، بالتأكيد سأشاهد تصوير بعض الأفلام في الشوارع هناك، باريس هي مدينة مخرجي السينما الكبار".

يرد أبي مبتسما:

"هي أيضا مدينة مخرجي المستقبل العظام"

"أبي أنت تسخر مني"

"لا والله، فعلا، كل ما في الأمر أنني في الماضي كنت أريد أيضا أن أصبح مخرجا ولكنني بقيت في مجال الصحافة"

تعبث أمي بأصابعها في سلسلة من اللؤلؤ صنعتها بنفسها:

"باريس، نعم باريس، لقد قضيت هناك سنة كاملة في الفنون، في شقة مشتركة مع طلاب الفن، قمنا بعمل معارض وحفلات"

"إذن فلنذهب إلى باريس!"

يهز أبي رأسه مستنكرا:

"للأسف لن نتمكن من ذلك، كل الأماكن الوظيفية مشغولة في باريس وقائمة الانتظار للعمل طويلة لمدة سنوات قادمة، ونحن لن ننتظر كل هذه المدة"

"عظيم لماذا لم تخبرنا بذلك من البداية، إذن فلنذهب إلى إسبانيا"

يتحدث هانو متأوها:

"لا! لقد حفظنا إسبانيا حفظا، كم مرة قضينا الإجازات هناك؟ خمس، ست، أو سبع مرات"

تقول أمي:

"أربع مرات، لكن كلامك صحيح، يمكننا أن نذهب إلى مكان جديد، حضارة مختلفة، إلى مكان صحراوي مثلا"

تقول جملتها وتبتسم في وجه أبي، يبدو أنه قد ملأ أذنها بأفكاره فلم تعد تقوى على مقاومتها، بل تدّعي الآن أن مصر كانت حلم حياتها، المشكلة أنها تستمع لأفكاره في البداية ثم تتحمس لها بشدة بعد ذلك، شيء بشع، أتمنى أن لا أصبح مثلها يوما ما، أقول لها:

"كنت أظن أنك لا تتحملين درجات الحرارة المرتفعة!"

"هناك اختراع اسمه المكيفات!"

لديها رد جاهز على كل سؤال.

يقفز أبي من مكانه ويضع السى دي لنستمع إلى الموسيقى، ألقيت نظرة إلى غطاء السى دي فرأيت حروفًا عربية، عندما يبدأ أبي حماسه واهتمامه بدولة ما، يصبح شديد الجنون في التعلق بها. أستمع إلى الموسيقى الدائرة، كان مسمعها غريبًا وكأن عطلاً في الكاسيت جعل الموسيقى تتحرك ببطء، أصرخ مع هانو في نفس واحد:

"أوقف الموسيقى يا أبي"

فيما يتعلق بالموسيقى كنت أتفق مع هانو في كل الآراء، حتى أننا في الماضي كنا نعزف الموسيقى معا، كنت أغني وهانو كان يعزف على آلة الأورج، حدث ذلك منذ وقت طويل، أما الآن فأصبح لديه فرقته الخاصة. يقول هانو لأبي:

"سأقول لك شيئا يا أبي، إنني فعلا منفتح على الموسيقى بكل أنواعها، لكن هذا الذي أسمعه هو شيء لا يطاق، في حالة قيامي بتكوين فرقة موسيقية جديدة في القاهرة، سأضع شرطا من البداية، وهو أن لا نعزف هذه الموسيقى البطيئة"

أبي يضع ذراعه فوق هانو ويقول:

"هل أفهم من ذلك يا عزيزي أنك موافق على الذهاب إلى القاهرة؟"

يقول هانو:

"طبعا أنا موافق"

كان يمكنني الآن أن أصيح في وجه الجميع بشدة، تماما كما فعل الولد الصغير في رواية الطبل الصفيح، أصرخ حتى تتحطم أكواب المنزل وتتهشم إطارات لوحات أمي.

لكنني بدلاً من هذا أعدتُ المحاولة مرة أخرى وقلت:

"لكن القاهرة بعيدة جدا، وبهذا لن أتمكن من ركوب القطار مثلا والسفر سريعا إلى دورو أعز صديقاتي أو بقية الأصدقاء"

يقول هانو:

" يا سلام، لقد بدأت أختي الصغيرة من الآن تفتقد صديقتها الغالية، وكأنها لن تجد في القاهرة أي أصدقاء جدد"

"اخرس أنت واتركني في حالي"

تنظر أمي باهتمام لي:

"نعم يا كيارا، أعرف أن المسألة ليست سهلة، وحتى أكون صريحة، الأمر يؤرقني أيضا، لأنني سأترك مجموعة الفنانين ولن أستطيع أن أراهم بسهولة،

لكننا في كل الحالات يجب أن نترك الأشياء تسير في مجراها، فسواء كنا في إسبانيا أو في ما هو أبعد من ذلك فسنضطر إلى ترك الأصدقاء"

قلت لنفسي مرة أخرى: من أين لها مرة أخرى بهذه المصطلحات النفسية، نترك الأشياء تسير في مجراها، هل قرأتْ ذلك مثلا في كتاب اسمه "الوداع في سبع خطوات سهلة".

يقول أبي:

"هذا ما كنتُ أعنيه تماما، كلمة ما هو أبعد من ذلك، هي فعلا الكلمة المناسبة، لأن الواحد حينما يذهب إلى مكان بعيد، لا يكون مشتتا بين عالمه وما هو أقرب إلى عالمه، وإنما يبدأ بالتركيز على هذا العالم أو البلد الجديد، نركز فيها وندخل في أعماقه، هل تفهمين ما أعنيه؟"

أرد عليه:

"يعني!"

كنت أحب دائما حماس أبي الزائد حينما يكتشف كصحفي بلدا جديدا، أي بلد سواء كان الصين أو دول أمريكا الجنوبية أو النمسا، لكني هنا كنت أريد أن أوقفه وأقول له اهدأ قليلا وخفف من مشاعرك لتعيد المشهد بطريقة أفضل، أقول:

"إن القاهرة ليست عالمي، فكل ما فيها غريب، الدخان والأتربة ودرجة الحرارة المرتفعة، وجموع الناس التي تتحرك بشكل سريع، المساجد، كما ليس لديَّ أدنى رغبة لتعلم اللغة العربية، فهي لغة غريبة عنِّي تمامًا"

تقول أمي:

"لن تضطري إلى تعلم اللغة العربية، ففي المدرسة الألمانية يتم التدريس بالألمانية، كما أن معظم التلاميذ في المدرسة يتحدثون اللغتين وهم من أصول ألمانية وعربية، ودائما ما يكون الأب مصريًّا والأم ألمانية"

"يبدو أنها جمعت معلومات كافية عن كل الأشياء هناك، هل يعني ذلك أنكم قمتم بالفعل باتخاذ قرار السفر إلى القاهرة سواء كنت سآتي معكم أم لا"

أبي يهز رأسه مستنكرا ويقول:

"لا هذا غير صحيح، لكن كل ما في الأمر أن القاهرة تفتح ذراعيها لنا، ونحن نريد أن نذهب إلى بلد بعيد، والمدرسة الألمانية هناك مدرسة جديدة وبها وظائف خالية للمدرسين، وليس هناك الكثير من الصحفيين الذين يعملون كمراسلين في القاهرة، كما أن لديَّ فرصة عمل تحقيقات صحفية في مجال السياحة للعديد من الصحف الألمانية"

"أنتم لا تتحدثون طوال الوقت إلا عن أنفسكم، وماذا عنّي؟ أنا في الخامسة عشرة من عمرى وكأني طفلة رضيعة تأخذونها معكم في الطائرة إلى أي مكان ترغبون في الانتقال إليه"

أمي وأبي ينظران إليَّ ثم تقول أمي:

"إذن فلتفكري بهدوء في الأمر مرة أخرى يا كيارا، وأحب أن أقول لك إنه في حالة أن القاهرة لن تعجبك فإننا سنجد حلا للأمر، يمكنك أن تعودي مرة أخرى إلى ألمانيا وتعيشي عند عمتك مونيكا وتذهبي إلى المدرسة هنا"

لقد كانت هذه الجملة هي أهم جملة معقولة سمعتها في هذا المساء.

مشهد واحد/ داخلي/ نهار

مدينة ألمانية/ المطار/ صالة المسافرين

مشهد علوي

تحرك مجموعات المسافرين في صالة السفر. تقترب الكاميرا من مجموعة مكونة من أربعة أشخاص، كيارا (١٥ سنة) مع والديها وأخيها هانو (١٦) أمام مكتب تفتيش الجوازات. هانو يسلم على كيارا ويبتسم، وَالِدَا كيارا يعانقاها أكثر من مرة.

تقترب الكاميرا من وجه كيارا التي تغلق عينيها.

الأب يتكلم بصوت مخنوق.

"كيارا بدأت أفتقدك من الآن"

الأم:

"هل سيكون بوسعك أن تعتمدي على نفسك فعلا؟"

كيارا بضيق:

"طبعا"

الأب:

"إذن سنلتقي في أعياد الميلاد القادمة"

الأم:

"اعتني بنفسك جيدا"

كيارا فارغة الصبر:

"أتمنى لكم إقامة سعيدة في القاهرة!"

يترك الأبوان وهانو كيارا في مكانها ويتحركون وراء بعضهم البعض، يعبرون الحاجز، يلوحون لها من بعيد، يطول الأب لأطول مدة ممكنة. يحدث اهتزازا: كيارا تلتفت إلى الخلف وتبحث عن اللوحة المعدنية الموجودة عليها

مواعيد السفر وتقف أسفلها وتبحث عن طائرة عائلتها، وتجدها بالفعل، طائرة لوفتهانزا المتجهة إلى القاهرة برحلة رقم ٢١٠ الساعة ١:١٣ ظهرًا. فجأة تنحل اللوحة المعدنية من مشجبها وتسقط فوق رأس كيارا، صرخة عالية من كيارا، بعدها تسقط على الأرض، تقترب الكاميرا منها، كان من بين المسافرين طبيب، يقوم بفحصها سريعا ثم يهز رأسه بحزن ويغلق عينيها ثم يضع قطعة من القماش فوق جسدها، تهرع عائلة كيارا في اتجاهها ويقبعون بجانب جثمانها.

الأب:

"كيارا أرجوك ردي عليَّ"

هانو هامسا:

"لم يعد هناك فائدة، لقد أصبح الأمر متأخرا"

الأم صارخة:

"لا، لا"

الأب:

"ما كان ينبغي أن نتركك وحدك أبدا، كان يجب أن نبقى معك طوال الوقت يا كيارا"

الأم:

"لقد كنا شديدي الأنانية معك"

هانو:

"وأنا أسخر منك كثيرا"

الأب يتنهد باكيا:

"لن أسافر أبدا إلى القاهرة، لن أسافر أبدا إلى القاهرة"

الكاميرا تبتعد والصورة تبدأ في الاختفاء.

obeikandl.com

الفصل الثاني

جلست في الطائرة بجانب النافذة، يداي ترتعشان بينما كنت أصور بكاميرا الفيديو. قلت لنفسي:

"أتمنى أن لا أكون قد اتخذت القرار الخاطئ!"

ها هي القاهرة، العاصمة الكبيرة التي يصل عدد سكانها إلى أكثر من ١٧ مليون نسمة، لِمَ لا أرى أسفلنا غير الصحراء؟! بدأت الطائرة تقترب من الأرض. واختفت الشبورة الرملية فجأة مع الهبوط، يبدو أن هذه الشبورة لم تكن أكثر من دخان ورمال صحراوية، وها هي البيوت أسفلنا تبدو ككتلة لانهائية بنية اللون يمر بينها شريط أزرق، إنه النيل، هذا النهر المحاط من اليمين ومن اليسار بناطحات سحاب قبيحة، أشعر بحالة من الغثيان، أبحث بعيني عن باب الخروج الاضطراري.

هبط أبي بجسده فوق كرسيه إلى أسفل:

"سنصل بعد قليل، لا تقلقي يا عزيزتي، كل شيء سيصبح رائعا"

أقول لأبي:

"نعم بالطبع"

لكنني في الحقيقة لم أستطع أن أصدق كلمة واحدة مما قاله أبي، أمي كانت تمسك بيد أبي، وجلس هانو خلفنا بجانب فتاة أمريكية شابة، كان يتكلم معها ويغازلها، قلت لنفسي:

"دورو صديقتي العزيزة، لماذا أنت لست معنا الآن"

الطائرة تبدأ في الاستعداد للهبوط، أضع الكاميرا في حقيبتي وأزيحها تحت الكرسي، ترى كم عدد الطائرات التي تطير من ألمانيا إلى القاهرة، لو أنني كنت بحثت عن ذلك على الانترنت من بيتنا في ألمانيا، لكنت حصلت على رد على هذه السؤال، لكن الوقت الآن أصبح متأخرا لكل هذا. عندما حطت الطائرة على الأرض أغلقت عيني وقلت لنفسي:

"بالتأكيد أن كل هذا وهم، وأنني في الحقيقة لم أصل إلى القاهرة"

ولكنني بالفعل في القاهرة، أجلس وسط العديد من الناس هنا في الطائرة، والجميع يستعدون للخروج، فينهضون ويتحدثون ويبحثون عن حقائبهم تشوقا لمغادرة الطائرة والعبور إلى الأراضي المصرية.

قررتُ أن أترك الجميع يذهبون أمامي، أترك والدي وهانو، ولكن كنتُ متأكدة أنني سأخرج معهم بعد قليل، وها أنا أقف فوق سلم الطائرة ، يصدمني ضوء مشع وموجة شديدة من الحرارة تضرب بوجهي، أفتح فمي وأحاول أن أستنشق أكبر كم من الهواء، ولكن الموجة الثانية تصدمني، هذه المرة كانت موجة من الصخب، كان المصريون يتحدثون بصوت عالٍ ويحركون أذرعهم بطريقة مختلفة، حديثهم باللغة العربية كان يصل إلى مسمعي وكأنه نوع من الصراخ، وأدهشني رغم ذلك أنهم كانوا يتحدثون ويمشون مقتربين بشدة من بعضهم البعض، تذكرت فيلم "كازبلانكا" للممثلة "إنجريد برجمان" حينما كانت في السوق ووقعت ضحية لكل البائعين حتى أتى البطل "همفري بوجارت" وخلصها منهم، ولكن من هذا الذي سيخلصني من كل هذا؟!.

في الباص الذي كان ينقلنا إلى مبنى المطار لاحظت أن درجة الحرارة زادت بالداخل عن معدلاتها بالخارج، والتصقت التيشيرت بجسدي بسبب العرق، وأصبح كل الركاب في الباص شديدي القرب من بعضهم البعض. وأخيرا توقف الباص وقذف بنا جميعا إلى الخارج.

أبي يهبط أولاً، بدا وكأنه يبحث عن شيء ما، يبدأ في التحدث مع مصري باللغة الإنجليزية، يلوح في اتجاهنا قائلا:

"تعالوا إلى هنا في الأمام، سنجد حقائبنا"

إنني على يقين أننا لو وضعنا أبي أيضا في المريخ، فإنه سيتصرف هناك أيضا بمهارة ولن يشعر بالاضطراب أبدا.

تمسح أمي عرقها بمنديل ورقي:

"شيء رائع"

أبي وهانو يضعان حقائبنا على عربتين. بمجرد أن وصلنا إلى خارج المطار اندفع نحونا كم كبير من سائقي التاكسي وبدءوا في ملامستنا والتقرب منا بشكل غريب:

“Wellcome to Egypt!”

“I bring you to your hotel.”

“Only fifty pounds”

إن أفضل ما يمكن أن يفعله الواحد في مثل هذه المواقف هو الالتفاف إلى

الوراء والدخول إلى المطار والعودة إلى المكان الذي جاء منه. أنظر إلى هانو، كان مذهولا، حرك يده ليخبط بها رأسه متعجبا:

"شيء مجنون تماما"

أقول له:

"يبدو أن شيئًا ما قد أصابهم."

ضحكنا بصوت عال. بدأ أبي بالفعل في جولاته للمساومة مع سائق التاكسي على أسعار الأجرة. أخذ يساوم ويساوم حتى أصبح ثمن الأجرة المطلوب مناسبا له.

لم أصدق بالفعل أننا استطعنا التخلص من باقي سائقي التاكسي حتى نحشر أنفسنا داخل عربة التاكسي المدهونة باللون الأبيض والأسود. وتنطلق بنا السيارة بسرعة مهولة كالطلقة في الشارع.

يكاد قلبي يتوقف فأسرع متسائلة:

"هل سننجو من هذه الرحلة ؟"

هانو ينظر إليَّ مبتسما، لكن وجهه هذه المرة بدا شاحبا، رد عليَّ بشيء من الخوف:

" يا عزيزتي حتى إن لم نَنْجُ، فإن آخر ما رأيناه هو على الأقل مغامرة سريعة"

أبي يلتفت إلينا:

"لا تخافوا يا جماعة سائقو التاكسي هنا أكثر حرصا من سائقي التاكسي في ألمانيا، وهذا الحرص في الحقيقة يرجع إلى أنه ليس هناك قواعد مرور يمكن اتباعها بشكل محدد كما في ألمانيا، لهذا يجب الاحتراس دائما"

أمي تشير إلى خارج النافذة وتقول:

" كم هو شيء مريح هذا الذي تقوله، لكن هل سينفع ذلك بشيء!"

وصلنا الآن إلى وسط مدينة القاهرة، كانت أشبه بتجمع هائل لعدد من الشوارع الممتلئة بالبنايات السكنية العالية.

لا أحد في القاهرة يلتزم بالتحرك في حارات القيادة، لكنهم جميعا يقطعون بعضهم البعض من كل النواحي ويستخدمون آلة التنبيه بشكل جنوني. تتشبث قبضة يدي أكثر بالمقبض المعلق فوق النافذة.

نظرت إلى أبي وسألته:

"هل تستمر رحلتنا هذه في التاكسي مدة طويلة؟"

أبي ينظر إلى ساعته ويقول:

"حوالي نصف ساعة، لكن هنا في القاهرة لا يمكن التأكيد على شيء أبدا، خصوصا المواعيد، لأن الزحام يحدث بدون مقدمات"

وكأن ما قال كان نوعا من التنبؤ الكلامي، فمجرد انتهاء أبي من جملته توقفت السيارة في مكانها، وتوقفنا في خط طويل ممتلئ بالسيارات، بدا وكأنه خط معدني انطلقت فيه آلات التنبيه لتعلن عن نفسها وسط اللهيب البركاني للدخان المتصاعد من السيارات.

سائق السيارة يهز كتفيه قائلا:

"معلش"

يضع السائق شريط كاسيت، نسمع في الحال صوت غناء ذا إيقاع طويل، هانو يسأل متعجبا:

"أبي ما هذا! هل هذه موسيقي "الراب" المصرية!"

يبتسم أبي:

"لا يا عزيزي، هذا شريط قرآن وسماع القرآن شيء محبب هنا عند الناس"

يقول هانو:

"طبعا أفهم ما تعنيه، لكننا لا نسمع أبدا في ألمانيا أي نوع من الأغاني الكنائسية حينما نقود سياراتنا"

الأمر فعلا غريب ومختلف، ما نوع هذا البلد الذى دخلنا فيه الآن! هل الناس هنا مختلفون؟ هل هم كما سمعنا يصلون من الصباح حتى المساء في المساجد؟

أخيرا بدأت السيارات في التحرك مرة أخرى. نغادر وسط المدينة، تنفتح حركة السيارات وينطلق التاكسي في شارع متسع:

"أمي أين تقع شقتنا؟"

ترد أمي قائلة:

"في منطقة تسمى المعادي، هناك يسكن العديد من المدرسين الأجانب، عندما سألت زميلة لي قالت لي إن منطقة المعادي منطقة جميلة فعلا وبها مناطق خضراء وأشجار كثيرة قديمة"

قال سائق التاكسي مبتسما:

“Maadi, Here we are”

أنظر من النافذة وأقول لنفسي من قال إن هذه المنطقة هي منطقة خضراء، هل تعني المناطق الطبيعية في القاهرة أن يحد الشوارع على جانبيها بعض

obeikandi.com

الأشجار التي حتى لا تبدو خضراء بشكل جميل كما أعرفها، بل جافة وذابلة.
يفرمل سائق التاكسي بقوة أمام بوابة واسعة ويقول:
"Number 17, are you living here?"
"نعم"
يبدأ أبي في حديثه المطول مع السائق، يتحدث معه عن أشياء كثيرة، يخبره أننا سوف نقضي ثلاث سنوات في مصر، أقول لنفسي:
"هذا شيء لا يعقل! هل لابد أن يقوم أبي الآن بعمل صداقات مع سائقى التاكسي، الآن بالتحديد ونحن متعبون"
سائق التاكسي يستمع إلى أبي بكل حماس، يخبره أين يسكن ويحكي له عن أولاده وعددهم، يقص عليه أشياء أخرى كثيرة عن حياته .....
أنادي قائلة:
"أبي هل يمكن أن تساعدني الآن في حمل حقيبتي إلى الخارج؟"
يقفز سائق التاكسي سريعا من السيارة ويأخذ مني الحقيبة ثم يحضر بقية الحقائب ويضعها أمام البوابة، أبي يشكره بشدة ويعطيه بقشيشًا زائد. هانو يهز البوابة بقوة ويسأل أبي من بعيد:
"أبي هل معك المفتاح؟"
يهز أبي رأسه بالنفي ويقول:
"سيحضر السمسار المفتاح، هو بالتأكيد على وصول الآن، لأن موعدنا الساعة الحادية عشرة"
أنظر إلى ساعتي وأكتشف أن الساعة الحادية عشرة والربع، لابد أن السمسار سيأتي على مهل.
يقول أبي:
"يا جماعة، الناس هنا ليست متزمتة وشديدة الانضباط بشكل عسكري مثلما يحدث في ألمانيا"
تعلق أمي على كلامه قائلة:
"آه ليس كما يحدث في ألمانيا! كم هو شيء لطيف فعلا"
بعد مرور نصف ساعة وقفنا فيها أمام البوابة لم تعد أمي ترى في الأمر شيئا لطيفا على الإطلاق، فالسمسار لم يظهر حتى هذه اللحظة الملعونة، وسألنا جيراننا المصرين الذين كانوا في غاية الطيبة واللطف معنا: إن كانوا يعرفون متى سيصل السمسار، لكنهم لم يعرفوا شيئا عن الأمر ونصحونا بالتوجه إلى جيراننا على الناحية الأخرى، ربما يعرفون شيئا عن موعد قدوم

السمسار. قال لنا الجيران على الناحية الأخرى باللغة الإنجليزية:

"yes he will come soon, do you want a cup of tea"

في هذه اللحظة تصل سيارة أمامنا على الناصية وتنحرف لتدخل إلى الشارع وتقف أمامنا ويخرج منها رجل يرتدى بذلة زرقاء، يتحرك في هدوء نحونا ثم يقول:

"عائلة لورانتس، أهلا بكم في مصر، أهلا وسهلا"

أمي ترد عليه قائلة:

"ألم يكن ميعادنا الساعة الحادية عشرة، إنها الآن الثانية عشرة والنصف!"

ينظر السمسار إليها ثم يبتسم قائلا:

"معلش!"

بخصوص: القاهرة والفوضى

عزيزتي دورو

نعم أحب أن أخبرك أنني مازلت على قيد الحياة، لكنني لا أستوعب ولا أصدق فعلا أن الكمبيوتر يعمل هنا أيضا، ربما يرجع ذلك لأنني أرى في كل ما حولنا فوضي شديدة، رغم أن الشقة في الحقيقة على ما يرام، فنحن نسكن في بيت مقسم إلى شقتين، شقتنا بها شرفة كبيرة ومطلة أيضا على حديقة وطبعا بمجرد وصولنا اخترت لنفسي أحسن الغرف الموجودة، أرجو أن تطلعي على مجموعة الصور التي ألحقها هنا أيضا بملحق الإيميل حتى يمكنك أن تأخذى فكرة عن المكان الذي أسكن فيه الآن.

لكن من ناحية أخرى الجو هنا حار جدا وكأنك تجلسين في أحد الأفران، والأعجب من ذلك أن النوافذ أيضا صغيرة. كما يعيش معنا في الغرف كائنات صغيرة جدا اسمها النمل، هذه الكائنات تحب أن تتمشي ليلا ونهارا بشكل مباشر من الحديقة إلى المطبخ، شيء مقزز للغاية!

والأدهى من ذلك أن الحمام كان مسدودا واضطر أبي إلى إحضار سباك، وهو أيضا لم يأت بسرعة، تأخر بشكل مهول، تماما مثلما حدث مع السمسار، وقال عندما وصل "معلش" يؤسفني أن أصل متأخرًا، ولكن على كل حال، الأمر سيمر بسلام، يبدو أن الجميع هنا يقول هذه الجملة، كنت أود أن أقول أنا أيضا يؤسفني أنني هنا في هذه المدينة المجنونة.

دورو لن يمكنك إطلاقا أن تتخيلي هيئة الشوارع هنا في القاهرة، إنها ليست نظيفة على الإطلاق والعربات مزدحمة وكثيرة تتحرك بسرعة ما بين المباني العالية المغطاة بالتراب، هذا إلى جانب درجة الحرارة المرتفعة

والصخب الدائم، حينما وصلت شعرت بعجز شديد حتى إنني لم أقدر إطلاقا على تصوير أي شيء وفي التاكسي لم أفعل شيئا وبقيت في حالة من الذهول. ولكن اطمئني بالتأكيد سوف يعود كل شيء إلى طبيعته بالتدريج!

ولكن ما هي أخبارك، أرجو أن تخبريني عن حالك، هل ستخرجين اليوم للسباحة؟ وتقابلين الشلة في المساء وتذهبون إلى السينما؟ أرجو أن تخبريني عن كل شيء، أرسلي أيضا سلامي إلى كل صديقاتنا ولا تنسي أن تقولي لهن أن يتذكرنني دائما عندما يشاهدن الفيلم الجديد لـ "هايكا ماكتش".

منذ لحظات قليلة دخل أبي إليَّ وسألني عن رغبتي في الذهاب إلى الأهرامات قلت لنفسي "إنها فعلا أعظم فكرة يمكن أن يجدها الإنسان في درجة الحرارة المرتفعة هذه!

أرجو أن ترسلي لي إيميل في أسرع وقت لأنه من المحتمل أن أذهب بالفعل بعد قليل.

إلى اللقاء
كيارا.

بعد خمس عشرة دقيقة

بخصوص: القاهرة والفوضى

عزيزتي كيارا

كم أتخيل أن ما تمرّين به الآن شيء صعب، حتى فكرت وقلت لنفسي إنك ربما تحتاجين إلى ثلاثة عقول بدلا من عقل واحد حتى تستوعبي كل ما يحدث.

لكنك ومن حسن الحظ وأنا متأكدة من ذلك ستتغلبين على هذه المسائل وهذا ما أرجوه!

كم كنت أتمني أن أكون بجانبك هناك في القاهرة لأنني متأكدة أننا لو كنا معًا لكان الأمر ممتعا، بالتأكيد كنا سنذهب إلى البازار: أنت ستبحثين عن بعض المجوهرات الرخيصة والجميلة وأنا أحميك من الباعة الملحين لأنني منذ زمن طويل عندي رغبة كبيرة للمساومة في الأسعار، وبعد ذلك كنا سنجلس بالتأكيد في مقهى ونشرب الشاي وستقومين ونستمتع معًا بمراقبة الشباب حينما ينظرون إلينا.

بالتأكيد أننا لن ننساك أبدا يا كيارا، سأحاول كل يوم أن أكتب إليك عما يحدث هنا. في المساء لن نذهب إلى السينما بل غدا، واليوم سنذهب معا إلى إحدى الكافيتريات.

الآن يجب أن أذهب إلى التدريب، أتمنى لك كثيرا من المتعة عند الأهرامات، سأفتقدك كثيرا.

دورو

لأول مرة في حياتي أقف وسط الصحراء، درجة الحرارة مرتفعة فعلا أكثر من المدينة. وأشعر بحرارة جافة ترتفع من الأرض وتسير إلى أعلى بين الرمال لتأخذ معها أنفاسي. التيشيرت الذي أرتديه منذ نصف ساعة تقريبا أصبح الآن مبتلا تماما فوق جسدي بسب درجة الحرارة، وأخذ إصبعي ينزلق باستمرار بسبب العرق من فوق زر كاميرا التصوير.

أنظر أمامي فأجد تلا كبيرا من الأحجار. كأنه واحد من ثلاثة، ها هي الأهرامات المشهورة التي يعرفها الناس في العالم كله.

شعرت مع اقترابي نحوها أنها تبدو أقل إبهارا، رفعت رأسي إلى أعلى وأخذت أصور هرم خوفو من قريب.

قلت للجميع بعد منادية:

"انظروا قمة الهرم الأكبر، ليست موجودة، يبدو فعلا وكأنه جبل كبير قد تم تسويته من أعلى وأصبح مثل كومة ضخمة من الأحجار قد رصها فوق بعضها البعض"

أغلق الكاميرات بخيبة أمل وأجلس على الأرض، يمر أمامي بعض العابرين من رجال الشرطة، هنا نجد رجال الشرطة في كل مكان. بعد قليل ينطلق هانو في اتجاهي ويقول مناديا:

"انتظري!"

أسأله في دهشة:

"ماذا حدث هل حطت قدمي فوق خنفسة سامة!"

هانو يضحك ويقول:

"يبدو أن فكرتك عن مصر سيئة للغاية"

يشير إلى لافتة بجانبي مكتوب عليها "ممنوع التسلق"، أقول له مبتسمة:

"شكرا على تحذيرك، كنت على وشك أن أتسلق إلى أعلى، بالتأكيد كان ذلك سيسعد رجال الشرطة حولنا"

هانو يجلس بجانبي، ننظر إلى بعضنا مبتسمين ثم أقول له:

"كنت سآخذ أحد الأحجار من قمة الهرم، ذكرى رائعة بالتأكيد"

أسأل هانو:

"هل كنت تتخيل القاهرة بهذا الشكل؟"

"لا لم أتخيلها بهذا الشكل، فعلا درجة الحرارة هنا مزعجة تماما، والناس هنا تفكر وتتصرف بطريقة مختلفة"

"نعم الناس هنا مختلفون تماما"

هانو يهز رأسه بالموافقة ويقول:

"هذا كله صحيح لكن الحياة هنا ليس مملة على الإطلاق"

أقول له:

"كما أنها أقل مللا بوجود "بابا" معنا!"

نظرت إلى الأمام، أبي يجري في اتجاهنا، يمسك في إحدى يديه الكاميرا الديجتال وفي اليد الأخرى الدفتر الصغير الذي كان يدون فيه بشكل دائم كل ملحوظاته عن الرحلة.

"يا أولاد فاتكم شيء هام! لم تشاهدوا مركب الشمس المعروضة هنا. هل تعرفون ما هي مركب الشمس؟ إنها المركب السماوي الذي تنتقل فيه روح الفرعون المتوفى إلى الإله رع بعد الموت حتى تبعث من جديد"

أحاول أن أتماسك حتى لا أظهر تثاؤبي أثناء الكلام:

"آه فعلا لقد فاتنا هذا الأمر"

يقول هانو:

"أنا سآتي معك يا أبي، أود أن أعرف أكثر عن حضارة الموت"

حينما يتحرك الاثنان أنادي عليهما:

"أين أمي؟"

أبي ينظر للخلف ويقول لي:

"هي هناك عند هرم خفرع تقوم برسم لوحة"

كان يمكنني استنباط ذلك وحدي، لأن أمي لا تخرج أبدا من بيتها دون أن تأخذ معها كراس الرسم"

أنهض في بطء وأترنح متوجهة نحو هرم خفرع. على بعد عدة أمتار يأتي شاب مصري منطلقا في اتجاهي يقوم بفرد مجموعة من الكروت السياحية القديمة أمام وجهي، الكروت أصبحت صفراء اللون.

“do you want postcards, very cheap”

أهز رأسي له بالنفي وأبتعد عنه وأقول له:

“No. thanks”

يقوم بتتبعي ثم يقول:

“where do you come from? Germany?”

أهز رأسي بالإيجاب:
يشرق وجهه ويسترسل متكلما فيظهر فمه فتحات ضخمة بين أسنانه:
"Germany is number one! Welcome to Egypt"
أبتسم له ولكن يبدو أنني أخطأت، لأنه قام في الحال بوضع رابطة الكروت حول رقبتي قائلا:
"كل الكروت بيورو واحد"
أكرر له كلامي بعد إعطائه الكروت مرة أخرى:
"No. thanks"
لكنه ينادي عليَّ ثانيا ويتتبعني:
"wonderful postcards"
الآن زاد الأمر عن حده وبدأت مسألة تحركه معي تخيفني، لهذا أسرع من خطواتي، ولكن البائع يتحرك خلفي بشكل مستمر، أسير للأمام ولا ألتفت للخلف وأسرع أكثر. أخيرا يتوقف في مكانه ويمتنع عن ملاحقتي.
العرق يتصبب على جبهتي. ماذا يخطر بباله، هل يظن أنني وحدي هنا: فتاة أجنبية تتمشي عند الهرم، وبالتالي يمكن الحصول عليها بسهولة!
أكملت سيري متضايقة حتى وصلت أخيرا إلى هرم خفرع، افترشت أمي غطاء وجلست عليه، كانت ترتدي قبعة شمسية كبيرة الحجم وأحد فستانيها المفضلة. انحنت إلى الأمام واقتربت من دفتر الرسم وأخذت ترسم، لم تسمعني إطلاقا حينما تحدثت معها:
"ماما؟"
قالت كعادتها حينما ترسم وتكون هائمة بأفكارها بعيدا:
"نعم؟"
أكرر مرة أخرى:
"ماما"
الآن فقط تنظر نحوي وتقول:
"أنت التي كنت تنادين عليَّ، هل كل شيء على ما يرام؟"
"لا، أحد البائعين الملحين كان يريد أن يبيع لي كروتًا سياحية بكل الطرق الممكنة"
تضحك أمي وتقول:
"لقد حاول معي بائع آخر، كان يريد أن يبيع لي التيشيرتات! عزيزتي، إن المصرين ليسوا كلهم كذلك ولكن الباعة في المناطق السياحية مشهورون

بإلحاحهم هذا"

نرى أحدهم يتحرك نحوه مهتزا فوق جمله ويقول:

"do you want to ride around the pyramids?"

نهز رأسنا بالنفي:

"it is not expensive"

تقول أمي:

"no"

عندما لم يكفه هذا، سحبت أمي بطانة بفستانها الداخلي بالخارج لتعلن له عن إفلاسها.

أصيح نحوه قائلة:

" !Look she has got no money"

ينظر إلينا راعي الجمال بنوع من التأسف والريبة ولكنه في النهاية يرحل بجمله ويتركنا وحدنا.

أنا وأمي ننظر إلى بعضنا البعض ونبتسم ثم أقول لها:

"لم ينجح في الحصول على شيء!"

أمي تعرض لي رسمتها وتسألني قائلة: ما رأيك فيها؟ كانت الرسمة بالأقلام الطبشورية. معالم هرم خفرع لم تظهر فيها بشكل واضح. كانت الصحراء هي مركز اللوحة. وخططت أمي ببعض الخطوط العشوائية لحركة الحرارة المرتفعة، خليط بين اللون البني واللون الأصفر.

بدأت الخطوط وكأنها ستنفجر في الحال. أقول لها:

"عظيم، إنها لوحة عظيمة، يمكنني أن أشعر بالحرارة المرسومة وكأنها حقيقية، أتخيلها مثل دوامة تخلط الأمور ببعضها البعض"

أمي تبتسم ثم تقول:

"هذا هو تماما ما كنت أريد أن أرسمه، يسعدني أنها تعجبك"

تنحني أمي مرة أخرى إلى الأمام وتكمل رسمها وتدخل عالمها وتنساني ثانيا، أنظر إلى يديها، وتبدأ الدموع تتحرك من عيني، لم يكن ذلك بسبب تأثري برسمها، بل هذه المرة بسبب الرمال الملعونة التي تدخل في عيوننا.

openkutub.com

obeikandl.com

الفصل الثالث

لقد استطاعت أمي بالفعل أن تنجز مهمتها الصباحية وأن تنجح في الذهاب إلى المدرسة، وتمرير السيارة بين الزحام الجحيمي للسيارات في القاهرة، هنا تبدأ المدرسة في الساعة السابعة وعشرين دقيقة، ولهذا تحركنا بالسيارة في السادسة وخمس وأربعين دقيقة. بدت أمي متعبة ومرهقة بشدة، نمر في الشارع عبر تجمع هائل من التلاميذ وتشير إلى سور على حافة الرصيف بني اللون وله حمرة ثم تقول:

"ها هي مدرستنا، أليست جميلة؟"

يقول هانو مبهورا وهو ينظر لأحد الفتيات المحجبات الجميلات:

"إنها فعلا رائعة!"

"رائعة"

تعجبت أنه يجد المدرسة رائعة، أولا لأننا لا نستطيع أن نتعرف على المدرسة إطلاقا من الداخل بسبب السور العالي وثانيا لأن هذا النوع من الأسوار يذكرني بالسجون أكثر من المدارس. أمي تنزلنا من السيارة وتقول:

"سنلتقي هنا في الثانية وخمس وأربعين، في الساحة"

أقول لها:

"هذا إذا بقيت على قيد الحياة

قلت لنفسي:

"إنني لا أعرف بالفعل كيف يمكنني أن أقضي هذا الوقت اللانهائي هنا"

يهبط هانو من السيارة أولا ويهز رأسه إلي ويقول:

"إذا أتمنى لك وقتا ممتعا مع المصريين"

أقول له:

"سأغلق عيني تمامًا وأقذف بنفسي في مسار اليوم"

هانو يهز رأسه ويقول على عجلة:

"عامة يجب أن أذهب الآن وإلا سيضيع أهم ما يجب أن أراه"

يسرع متتبعا الفتاة الجميلة ويختفي وسط الجميع في فناء المدرسة. أقول لنفسي:

"هذا ما اعتدناه دائمًا من هانو، بالتأكيد لن يبقي طويلا بدون صديقة.
يسألني بواب المدرسة عند المدخل:
"هل أنت جديدة هنا!"
أهز رأسي له وأقول:
"اسمى كيارا لورانتس، فصل ١٠ ب ١"
يلقي حارس البوابة بنظره على جدول موضوع أمام فصل جديد ويقول:
"فصلك سيكون في المبني البرجي الأصفر في الدور الثاني، يمكنك السير للأمام ستجدينه بسهولة ولا يمكنك أن تضلي الطريق"
أشكره وأتحرك للأمام. الآن ليس هناك رجعة. ها أنا أسير في أرض المدرسة. أشعر وكأنني أمشي عارية ويترقبني الجميع لأنني لم آخذ معي الكاميرا رغم أنه ما من أحد ينظر إلي بشكل غريب. لكنني لا أحب دائما أن أكون جديدة في مكان ما، على عكس دورو التي تحب دائما هذا الأمر وتفضل أن تذهب إلى حفلات ضخمة لا تعرف فيها أحدا على الإطلاق.
أمرّ بجانب واجهة رمادية اللون، مبنى أسمنتي ضخم ترتبط أجزاؤه بجسور متواصلة، يقطع وحدة هذا اللون الرمادي بعض النخيل الصغير وبعض المباني القصيرة في ألوان متعددة. يظهر المبنى الأصفر البرجي من بعيد. أتحرك عن عمد ببطء شديد وأبعد عن التلاميذ. يمر بجانبي ولدان يمسكان بأيدي بعضهما البعض، فأبتسم وأقول لنفسي إما أنهما ليسا طبيعيين أو أن هذه طبيعة الرجال هنا في مصر.
عندما أفتح باب الفصل، تصدمني ضجة لا يمكن أن تؤدى إلا إلى الصمم. التلاميذ يصرخون ويتحركون فوق الطاولات بشكل غريب، الولدان اللذان شاهدتهما من قبل يمسكان بأيدى بعضهما البعض، أصبحا طليقَيْ الأيدي، أحدهما يخبط بقبضته وكأنه يدق الطبل فوق ظهر الآخر ويضحك الاثنان. يرن موبايل أحد التلاميذ بصوت صاخب بموسيقى عربية رنانة. شعرت برغبة جامحة بالفرار من هنا والعودة مره أخرى إلى الخلف. ولكن فجأة تكتشفني فتاة مصرية. بعد قليل يحيطني مجموعة من الوجوه البرونزية السمراء المشعة بالفرحة ويقول البعض لي:
"أهلا!"
"أهلا بك في الفصل العاشر ب"
تتردد جمل:
"جميل أنك أتيت إلى فصلنا"

"ما اسمك؟"

سألت نفسي لماذا كل هذا اللطف، أنا لا أصدق، هل يخدعونني، أم هم فعلا على درجة كبيرة من السعادة بسبب حضور تلميذة جديدة للفصل؟

قبل أن أستطيع أن أجيب بشيء على أحد، تدخل امرأة شقراء، تضع حقيبتها في الأمام وتنظر مقطبة الحاجبين بنوع من التذمر، وتصفق بيديها وتقول:

"الهدوء لو سمحتم، أرجوكم اجلسوا في أماكنكم"

تضطر السيدة إلى إعادة جملتها ثلاث مرات حتى يتنبه التلاميذ من الأصل لما تقوله، يبدأ التجمع الصغير في التحلل من حولي، يقسم التلاميذ أنفسهم على الأماكن الموجودة في الفصل، بعضهم لا يزال يتحدث بكل بساطة، تتنهد المعلمة من الضيق ثم تدق بمسطرة حديدية فوق الطاولة وتقول مرة أخرى:

"الهدوء لو سمحتم، الهدوء، ألم تفكروا فيما ستظنه زميلاتكم الجديدات، هل سلمتم وتعرفتم عليهن"

يصفق التلاميذ ويخبطون بأقدامهم على الأرض، وجهي يبدأ في الاحمرار وألتفت إلى الخلف، ألمح فتاتين، أحداهن شقراء والأخرى بنية الشعر، يقفان من مكانهما مثلي، ولا يصفقان، إذن هناك أيضا من هو جديد في هذا الفصل غيري، لكن الفتاتين بدتا شديدتي الغرور، تقول المعلمة:

"أهلا بكم في المدرسة الألمانية في الدقي، اسمي أستاذة إشفيجر، وأنا المدرسة المسئولة عن الفصل، أدرس لهذا الجمع الغفير من التلاميذ هنا اللغة الإنجليزية والألمانية، أحاول أن أبذل أقصى جهدي للوصول إلى ذلك، فمع دخولكم الفصل العاشر ستبدأ المرحلة الثانوية، وفي خلال ثلاثة أعوام يمكنكم إتمام شهادة الثانوية العامة"

يطلق الجميع صيحات تعجب، ولكن الأستاذة إشفيجر تتجاهل الأمر، وتبدأ بتقديم أسماء التلاميذ الذين يرددون أسماءهم بسرعة، لم أتمكن من الاحتفاظ إلا بالقليل منها، اسم الفتاة الشقراء هو كتارينا، والفتاة المصرية اسمها دينا.

أجلس فوق آخر مكان خال في الصف الأول، الأستاذة إشفيجر توزع الجدول المدرسي على الجميع، يتصلب نظري فوق الجدول عندما ألاحظ أن هناك يومين ستستمر فيهما الدراسة لوقت متأخر حتى الساعة الثانية والنصف وفي يومين آخريْن حتى الساعة الثانية عشرة والربع، تجلس بجانبي فتاة مصرية سمراء وشعرها الأسود كان مضموما على شكل ذيل حصان، تضع على أنفها نظارة مستديرة، تبتسم لي وتقول:

"أهلا، أنا مريم"
"وأنا كيارا"
تلتفت مريم إلى الخلف وتتحدث بصوت غير عال مع فتاتين، أقول لنفسي إنهنّ بالتأكيد يسخرن مني، وربما كان يسخر مني الآخرون حينما كانوا يحيونني، ربما أكون قد وقعت فريسة للكرم المصري، هذا الكرم الذي يمتدحه أبي!
ومع نهاية الحصة ودق الجرس المدرسي، يتجمع عدد كبير من التلاميذ المصريين حولي ويدفعون بي وسطهم حتى أخرج معهم عبر السلم إلى الفناء المدرسي، وينحلون بعد ذلك مبتعدين عني ويتبدل مكانهم آخرون يتدافعون نحوي جميعا بأسئلة متعددة:
"من أين أنت يا كيارا، من النمسا أم من ألمانيا"
"ما رأيك في القاهرة ؟"
"هل زرت المتحف المصري؟"
"ما هي هواياتك؟"
واستمر الأمر مدة من الزمن حتى أستطيع أخيرا أن أتحدث وأقول:
"نعم أنا من فرانكفورت في ألمانيا، هي مدينة كبيرة، لكنه لا يمكن مقارنتها بالقاهرة، لم أزر المتحف المصري حتى الآن ولكنني أنوي الذهاب إلى هناك، وأقوم بالتصوير بكاميرا الفيديو، فأنا أحب التصوير السينمائي"
تقول مريم:
"هذا شيء عظيم!"
قلت لنفسي:
"أراهن أنها تسخر مني، وأيضا الآخرون كانوا ينظرون إلي بنظرة إعجاب، الشيء الذي جعلني أشعر بأن حجم صدري قد انتفخ. سألتُ دينا:
"هل والداك يعملان بالتدريس؟"
"أمي فقط هي التي تعمل معلمة وهي تدرس مادة الفنون في المدرسة هنا، أبي يعمل صحفيا ويكتب موضوعات في أدب الرحلات وأشياء من هذا القبيل"
تقول دينا:
"إنه شيء رائع، هل لديك صورة لوالديك؟"

قلت لنفسي: ماذا تقصد هي بهذا، إنه شيء غريب، لماذا ينبغي عليَّ أن أحمل صورة لوالدي طوال الوقت! دينا تخرج حافظة نقودها وتخرج منها صورة بفخر وتقربها من عيني وتقول:

"ها هما والداي، أمي ألمانية وهي ربة بيت، أبي يعمل في شركة سياحية كبيرة"

آخذ نظرة خاطفة فوق الصورة وأهز رأسي، دينا تبدو محبطة من رد فعلي، تعجبت من الأمر، وكأنه ليس هناك أهم من الوالدين في هذا العالم، ليست الصديقات مثلا، يا له من أمر، أين أنت يا دورو حتى تَرَيْ ما يحدث.

تسألني ليلى الفتاة الوحيدة المحجبة في الفصل:

"كيف امتنعت عن زيارة المتحف المصري حتى الآن وأيضا لم تذهبي إلى منطقة مصر القديمة؟!! يجب أن نذهب معك إلى هناك، هل لديك وقت غدا"

أهز رأسي بالنفي، كنت أصبحت على آخري بعد زيارتنا للأهرامات، ولم يكن لدي رغبة في زيارة معالم أثرية أخرى، قلت لنفسي صحيح أنني هنا في القاهرة، لكنني لن أجعل أحدًا يجبرني أن ألعب دور السائحة لمشاهدة بعض التوابيت التي اعتلاها التراب وأن أدخل في مصادمات مع الباعة الجائلين. قلت لها:

"هذا الأسبوع سيكون من الصعب القيام بذلك، لم أفتح حتى الآن كل حقائبي بعد انتقالنا إلى القاهرة"

يعلق يوسف الذي كان يدق فوق ظهر صاحبه بقبضته الحديدية قائلا:

"معلش"

ويسترسل صديقه رامي:

"ممكن أن تفرغي حقائبك الأسبوع القادم إن شاء الله"

مرة أخرى يبدءون في الحديث باللغة العربية دون أن يقوم أحد بالترجمة، أنظر من جانب عيني إلى الناحية الأخرى نحو فتاتين ألمانيتين، كانتا مستجدتين، ملابسهما كانت مرسومة على الموضة أكثر من اللزوم، يمكنني من الآن أن أنسى عمل صداقة معهما، مظهرهما دل على نوع من الغرور، وأما التلاميذ المصريون فقد جعلوني غير متأكدة إن كانوا يتحدثون معي بسخرية أم كانوا فعلا يتمتعون بكل هذه الأساليب اللطيفة في معاملتي.

عندما عدت إلى البيت كانت هناك رائحة غريبة، أبي رفع أنفه عاليا وقال:

"يا سلام، طباختنا الجديدة بدأت في عملها، أنا متشوق لمعرفة ما سنجربه من أكلات جديدة!"

سألته في دهشة:
"طباختنا، منذ متى ونحن نحتاج إلى طباخة، فلم يكن لدينا في ألمانيا طباخة أبدا"
أمي هزت كتفيها متعجبة وقالت:
"هذا الأمر يجب أيضا أن أعتاد عليه، فعندما استأجرنا هذا البيت، أخذناه بكل العاملين فيه، ويبدو أن هذه المسألة معتادة في مصر، فالعمل كخادمة عليه الطلب هنا، غدا ستأتي أيضا الخادمة، وأيضا الحارس وعامل الحديقة. شيء يدعو فعلا إلى الرفاهية الزائدة"
أقول لها:
"فعلا إنه شيء شديد الرفاهية بدون حدود!"
فكرت في أن أمي ستدخل بالتأكيد في الوقت القادم في إحدى مراحل إبداعاتها الفنية وستنسى كل شيء عن الطبخ والغسيل والتنظيف....
على المائدة وضعت الطباخة الخبز والأرز وطبقًا كبيرًا ممتلئًا بخليط لم أستطع تميز ملامحه، كان بُنيّ اللون، قال الطباخة:
"إنه الفول"
يسأل هانو:
"ما هذا؟"
يقول أبي:
"الفول هو أحد أنواع البقوليات البنية اللون المطبوخة بقليل من عصير الليمون والطحينة والزيت، بالإضافة إلى بعض التوابل، صدقوني إن طعمه أحلى بكثير مما سمعتموه عن مكوناته، يجب أن تجربوه أولا!"
يأخذ قطعة من الخبز البلدي، بعد نزعها من الرغيف ويدسها في الطبق وكأنه يدس ملعقة ويأكلها ويقول في إعجاب:
"إنه فعلا لذيذ جدا"
أنظر وهانو بنوع من الحرص، ويجرب هانو أولا. بعدها يطلع علينا قائلا:
"فعلا هذا الشيء طعمه جيد، ليس سيئا كما كنت أظن"
وجدت نفسي أعترف بالحقيقة بعد أن جربت الطعام:
"هذا صحيح!"
لكن بعد أخذي بعض القضمات القليلة توقفت عن تناول الطعام بسبب درجات الحرارة المرتفعة التي تحد من تناولي للطعام بسهولة. تسألنا أمي:
"وكيف كان يومكما في المدرسة، هل تعرفتم على أصدقاء جدد"

هانو يبتسم بشكل خبيث:
"في الحقيقة أنا مهتم جدا بالفتيات هنا، ولكن لا يمكنني التحدث باستفاضة عن هذا الشيء، تعرفت أيضا على بعض الشباب في المدرسة ولدينا رغبة مشتركة لعمل فرقة موسيقية"
يرد أبي مستحسنا الأمر:
"إنه شيء رائع"
أمي لا تترك الأمر يمر هكذا، ولهذا تسأل مكررة:
"وأنت يا كيارا، ألم تتعرفي على أصدقاء جدد؟"
أهز كتفي مندهشة وأقول:
"لا، لم أتعرف على أحد"
تلمع عينا أمي وتسأل مرة أخرى:
"هل سجلت نفسك في ال "إيه جي"؟"
"ال "إيه جي"!"

أمي تضع منديل المائدة جانبا وتقول:
"يوجد في المدرسة أكثر من خمسين فرقة في المجالات المختلفة، في الموسيقي والفنون والمسرح والرياضة، يمكنكِ الاشتراك في إحدى الفرق، على سبيل المثال يمكنك الاشتراك في الفريق المسرحي! بالتأكيد أنك ستستمتعين بذلك وستجدين في أسرع وقت أصدقاء جددًا"
يبتسم هانو ببلاهة ويقول:
"طبعًا.. طبعًا يا أختي العزيزة"
توجهت إليه وقلت:
"أرجو أن لا تتدخل أنت في الموضوع"
ثم توجهت إلى أمي مسترسلة:
"شكرا يا أمي علي النصيحة ولكنه من الأفضل أن أقرر هذا بنفسي"
"أنا لم أقصد شيئا سيئا يا كيارا، ونيتي كانت سليمة"
أقول لنفسي: "طبعا نيتها سليمة دائما بهذه النصائح الغبية"
أشعر بالغثيان فأنهض من مكاني، يقول أبي:
"كيارا ابْقَيْ معنا!"
أهز رأسي في استياء وأقول:
"سأذهب الآن، لابد أن أقوم بعمل الواجب"

obeikandl.com

لم يكن من الضروري أن يعرف الاثنان شيئا عن حقيقة الأمر:

فتحت جهاز الDVD في حجرتي وارتميتُ فوق السرير، كم أحتاج الآن إلى سماع الموسيقي الساحرة لفيلم "عالم إميلي الصغير" أتخيل وجه "أوتري توتو" الجميل أمام عيني، عالمها الصغير داخل الكافيتريا. أستمع إلى الموسيقي الفرنسية والأوكورديون بنغماته المتلاحقة الرائعة يعطي نوعًا من الأمل والحزن في نفس الوقت، كم سأكون سعيدا برؤية إميلي! ولكن اليوم جعلتني الموسيقي أشعر بالحزن والغضب. لقد كان هذا الفيلم هو أول فيلم رأيته مع دورو في السينما وبعد أن خرجنا ذهبنا إلى ماكدونالدز وشربنا الكوكاكولا وقررنا منذ ذلك الوقت أن نكون أصدقاء.

أفتح جهاز الكومبيوتر للاطلاع على إيميلاتي.

عزيزتي دورو!.

أكره القاهرة! صحيح أن المصريين شديدو اللطف لكن الأمر يخنق أحيانا، ربما لا يمكنك تخيل ذلك، لكن عالمًا من هذا النوع ليس مستحيلا، اليوم علي سبيل المثال أخذوا يحطمونني بأسئلتهم وبعد ذلك انهمكوا وتحدثوا باللغة العربية، شيء غريب! حتى البنات الألمانيات في الفصل يمكنك أن تنسيهم، لسن أكثر من فتيات مغرورات، كيف يمكنني أن أتحمل كل هذا وأنا وحدي؟ أرجو منك أن تكتبي لي سريعا قبل أن أجن وكل تحياتي للجميع.

كيارا

أدفن وجهي بين يدي وأبقى على هذا الحال في انتظار ردها. اليوم هو الاثنين، دورو في البيت، أنتظرها وأنتظرها لكن ردا لم يأتِ منها، أكتب لها مرة أخرى:

"دورو أين أنت؟"

يبدو أنهم قد نسوني جميعا.

أغلق الكومبيوتر وأبقى في مكاني عند المكتب، أشعر بقشعريرة في جسدي أو بدرجة حرارة مرتفعة، كنت أشعر ببساطة بوحدة شديدة، وحدة غير عادية في مدينة يتجاوز سكانها سبعة عشر مليون نسمة.

فجأة يدق الباب فأصيح قائلة:

"ليس الآن!"

فتحت الباب رغم ما قلته لتظهر منه امرأة بدينة تلف حول خصرها مريلة مطبخ وتحمل في يديها دلوا وتدخل إلى الغرفة وتقول:

"لقد تمكنت من التغلب على النمل"

قبل أن أتمكن من قول شيء تتوجه هي نحوي مبتسمة وتحتضنني بثلاث قبلات مبللة على خدي:

"أنت كيارا أليس كذلك، ألست على ما يرام هل أنت مريضة؟"

فجأة تبتل عيناي بالدموع فأنتزع نفسي من بين يديها وأسرع بمغادرة الغرفة، أثناء هبوطي إلى أسفل أصطدم بأمي، كانت تجهز حقيبتها الرياضية. توجهت إلي قائلة:

"عظيم يا كيارا أنك ستأتين معي، لابد أن نسرع بتسجيل أنفسنا في النادي الرياضي، إنه ليس بعيدا، فقط بضع دقائق بالسيارة"

أسألها:

"وأين أبي وهانو؟"

"أنت تعرفين يا كيارا أن أباك يكره النوادي وهانو بعيد كل البعد عن مسألة الرياضة هذه، كما أنني أكون في قمة السعادة حينما أقرر أنا وأبوك أن نجري في النادي قليلا، أما هانو فهو على الأقل يمارس الرياضة في المدرسة"

يا له من! ربما كان ينبغي عليَّ أن أجد شيئا مجنونا مثل الاثنين. أمي تضع ابتسامه على وجهها وتقول:

"كيارا، هيا جهزي نفسك وأحضري معك ملابس السباحة وحقيبة، يمكنك تجريب حمام السباحة بعد قليل"

"حاضر سأذهب في الحال"

مع عودتي مرة أخرى بالحقيبة الرياضية، خطفت نظرة سريعة في غرفة أبي حتى أسلم عليه، ولكن الغرفة كانت فارغة. سألت أمي:

"أين أبي؟"

"اتجه بمترو الأنفاق، هو يريد أن يتعرف على الحياة الحقيقية للمصريين، وكأن نادي المعادي ليس فيه مصريون!"

أقول لنفسي هذا ما يتميز به أبي. لن أتزحزح من مكاني للخروج في هذا الجو الحار أبدا حتى لو حركني من هنا عشرة عجول، ورغم هذا أعتقد أن أبي هو الشخص الوحيد الذي كنت أقوم معه بعمل كل المغامرات الغريبة، فعلنا ذلك في إسبانيا وفرنسا. كان النادي أكبر مما تخيلته، به ملاعب التنس والفروسية وأيضا ملعب كرة القدم والعديد من الصالات الرياضية.

عند أرض الملاعب رأيت أسرتين مصريتين، كان معهما أطفال كثيرون وكمٌّ هائل من الطعام أحضروه معهم، تحدثوا جميعا بصوت عال، كانت النساء

ترتدي فساتين طويلة ووضعت الحجاب، ليت الكاميرا كانت معي الآن، كنت سأقوم بتصوير هذا المشهد الغريب. الملاعب كلها كانت خالية من الناس، لكن من بعيد هبت علينا بعض الكلمات باللغة الإنجليزية، كانت اللكنة تدل على أن المتحدثين أمريكان. أنجزنا تسجيلنا في النادي بسرعة، بعد هذا اكتشفنا مقهى صغيرًا به شرفة واسعة للجلوس بالخارج، حيث تجلس ألمانيات حول مائدة مستديرة، عندما رأتهم قالت:

"كيارا أعتقد أنني سأسبح بعد قليل ويمكنك أن تذهبي للسباحة!"

قلت لنفسي: ألم تكن هي التي تتفاخر منذ قليل بأنها تعشق الرياضة مقارنة بأبي وهانو، أنظر إليها من بعيد، كيف تتوجه نحو السيدات للخوض في الحديث، تبدو متوترة، لكنها تحدثني دائما عن كيفيه اكتساب أصدقاء جدد في وقت سريع، والحفاظ على نوع من الهدوء الداخلي، كلها كلمات فارغة، ألتفت إلى الأمام وأنسحب نحو حمام السباحة. يأتي إلي مسمعي صراخ أطفال ألمان من حمام السباحة الصغير، وفي الحمام الكبير أرى رجلين يسبحان متخذين خطا للأمام والخلف، كانا يتحدثان معًا بصوت عال باللغة الإنجليزية بعد أن طالت مراقبتي لهما أشعر بدرجة الحرارة المرتفعة فأقرر أن أخلع عني ملابسي وأقفز إلى حمام السباحة، كنت قد ارتديت ملابس السباحة أسفل ملابسي في البيت.

كان الماء باردا وصافيا بشكل جميل، أهبط إلى أرضية المسبح وأسبح عبر خطوط طولية. فكرت في أن أبسط ما يمكن أن أعمله الآن، هو أن أبقى في أسفل الماء طوال الوقت ولكن هذا شيء لا يمكن القيام به للأبد، أصعد مرة أخرى بالفعل لأشاهد المصريات في ملابسهن الطويلة جالسات فوق الكراسي في هذا الجو الحار، أسأل نفسي في دهشة: كيف يتحملن درجات الحرارة العالية دون أن يكون لديهن رغبة في الاستحمام مثلي!

أسبح ذهابا وإيابا عدة مرات، ثم أخرج وأضع المنشفة فوق سرير حمام السباحة وأرقد فوقه. أين أنت يا دورو الآن؟ هل تذهبين من وقت لآخر إلى السباحة؟ لماذا لم تردّي علي، هل أنت حقا حمقاء بهذا الشكل! أغلق عيني بشدة فتتحول قطرات الماء الزرقاء الموجودة حول عيني إلى نقاط لامعة يخرج منها ألوان الطيف، عندما أمسح عيني بيدي تزداد كثافة هذه الأضواء.

المشهد الثاني: خارجي، نهار

القاهرة، المدرسة الألمانية، فناء المدرسة أثناء الفسحة

نسمع بالخلفية موسيقي عربية لمدة خمس ثوان، كيارا تقف عند سور المدرسة وتنتظر في ناحية الشارع في الخارج. وترتكز الكاميرا على وجهها لمدة خمس ثوان، يبدو عليها الاضطراب. تنقل الكاميرا بشكل سريع إلى فناء المدرسة. التلاميذ يتكلمون ويتحدثون مع بعضهم. تتحرك الكاميرا مرة أخرى خارج السور حيث يقترب تاكسي، من خارج النافذة ترفرف راية بها ألوان الطيف. الشخص الموجود بالسيارة بجانب سائق التاكسي ينحني إلى الخارج تماما ويلوح بيده إلى كيارا:

كيارا:

(تنظر مندهشة إلى نفسها ثم تشير بإصبعها نحو صدرها)

"أنا؟"

الشخص الجالس في التاكسي يزيد من حدة تلويحه لها. يقترب التاكسي أكثر نحو سور المدرسة. كيارا تكتشف أن الراية مكتوب عليها كلمة "هواء ألوان الطيف" فى الأسفل مكتوب عليها اسمها باللون الأسود. جس كيارا، ترتعش للحظة، تتردد قليلا. ثم تلتفت للخلف. الكاميرا تنتقل نحو التلاميذ الكاميرا تكون متوسطة الاقتراب منهم. لم يلاحظ أحد منهم كيارا. كيارا تتسلق السور وتقفز إلى الناحية الأخرى فوق الرصيف، الشخص الجالس بجانب سائق التاكسي يفتح الباب الخلفي وكيارا تركبه بسرعة.

كيارا:

(تجلس متقطعة الأنفاس)

"إلى أين سنذهب؟"

"هذا سر كبير"

كيارا:

"من الذي أعطاكم الأمر بإحضاري؟"

سائق التاكسي:

"هذا سر كبير"

أصبح صوت الموسيقى أكثر صخبا، كيارا تسند جسدها إلى الخلف. عيناها اتَّسعتا من الخوف.

(ينقطع المشهد ويظهر مشهد جديد)

وقف التاكسي أمام مطار القاهرة، يخرج الشخص الجالس بجانب السائق ويفتح الباب الخلفي على آخره. كيارا تتعثر أثناء خروجها. انتقال سريع

بالكاميرا من بعيد. مدخل المطار ممتلئ برجال الشرطة. تتحرك الكاميرا إلى التاكسي. السائق يخرج ويتحرك مع كيارا رجلان عبر منطقة الحدود الأمنية. رجال الشرطة يفسحون لهم الطريق مبتسمين. كيارا تتنفس بسرعة ويتحرك قفصها الصدري إلى أعلى وإلى أسفل بشكل ملحوظ. الموسيقي العربية تنقطع من الخلفية. يحل محلها صوت دقات قلب كيارا في الخلفية. تتحرك الكاميرا بشكل بطيء:

كيارا تدخل إلى صالة السفر. يظهر بين المسافرين يد تشير نحوها.

الشخص الذي تنتمي إليه هذه اليد الملوحة يدفع بنفسه بين التجمع الهائل الموجود يتجه نحو كيارا، الكاميرا تقترب بشدة من وجه كيارا، عيناها، تعودان مرة أخرى إلى طبيعتهما وتبتسم. تتحرك الكاميرا مرة أخرى بشكل طبيعي وتنتهي دقات القلب، وتسمع أغنية ألمانية لـ "هربرت جرونيمار".

كيارا(بصوتٍ متهدج)

"دورو! ماذا تفعلين هنا؟"

دورو:

"جئت حتى أعود بك إلى ألمانيا، لن أقدر على الحياة بدونك"

كيارا:

(تعانق دورو)

لقد جئت في الوقت المناسب تماما؟

بعض قطرات الماء تسقط فوق وجهي فأسمع صوت أمي:

"كيارا، آه ماذا بك؟"

"هيا انزلي معي فى الماء!"

"لا ليس لديَّ رغبة"

تقول أمي:

"كما تحبين"

عزيزتي كيارا،

آسفة على عدم كتابتي لك في الفترة السابقة. أنا مشغولة جدا بسبب امتحان الفيزياء غدا. ما هي أخبارك؟ هل أنت حقا متوترة بهذه الدرجة وهل فعلا كل التلاميذ في المدرسة سخفاء، أظن أنه يجب عليك أن تصبري قليلا أن لم تعرفيهم حتى الآن جيدا، بالنسبة للفيلم الذي شاهدناه لـ "هايكه ماكتش" فإنه لم يكن جميلا، لهذا أحب أن أطمئنك أنه لم يفتك شيء.

أرجو أن تتمني لي التوفيق في امتحان الفيزياء

كل تحياتي وتحيات الفتيات من هنا إليك!

دورو

قلت لنفسي ومن يتمني لي التوفيق في حل مشكلاتي؟ شكرًا يا دورو على ما فعلتيه، لقد قمت بمساعدتي بالفعل! لم تفهمي على الإطلاق ما كنت أقصد من الأصل، الأمر ليس مسألة تتعلق بمجرد تلاميذ جدد، أنا هنا في القاهرة، حيث يفكر الناس بشكل مختلف! لا يوجد شيء يمكن مقارنته بألمانيا. ربما لا تستطيعين تخيل شيء كهذا، أليس كذلك؟ إن كل ما تهتمين به أو تفكرين فيه هو امتحان الفيزياء ومشكلاتك الخاصة فقط؟ تقولين لنفسك: لقد ذهبت، إذن فعليها أن تجد طريقها بنفسها! إذا كان الأمر كذلك فيمكنك أن تعتبريني في تعداد الموتى!

كم أحتاج إلى شخص واحد في هذا العالم يمكنه أن يفهمني!

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع

في يوم الخميس أوقفتني الأستاذة "إشفيجر" بعد الحصة الأخيرة من اليوم المدرسي - أنهينا اليوم الدراسي بصفة استثنائية اليوم الساعة الواحدة والربع:

"كيارا، انتظري لحظة يجب أن أتحدث معك"

يخرج كل التلاميذ فتغلق الباب ثم تقدم لي كرسيا وتجلس أمامي. ترى ماذا تريد مني، هل ارتكبت خطأ! أتفحص ملابسي: لا لم يكن بملابسي ما هو مخل، ولم ألبس جيبا قصيرة ولم يكشف التي شيرت بطني. كنت أتتبع تعليمات الزي من تلقاء نفسي لمجرد حماية نفسي لأنني هنا في القاهرة، عندما أرتدي ملابس قصيرة وأمشي هكذا في الشارع لابد أن الرجال ستتحدث معي في الحال وتبدأ في معاكستي، الأمر الذي لا أرغب فيه على الإطلاق.

"لدي سؤال يا كيارا، لماذا لم تسجلي نفسك حتى الآن في جمعية للنشاطات المدرسية؟" أنظر إلى عينيها، ترد النظرة إليَّ، تبدو فعلا مهتمة بي. أقول لها:

"أنا جديدة هنا والأشياء كلها غريبة عني وأنت تعرفين أن هذا الأمر يحتاج إلى وقت"

تنظر السيدة إشفيجر وتهز رأسها بتفهم وتقول:

"أفهم تماما ما تعنينه، لقد احتجت أيضا إلى وقت طويل حتى أعتاد على القاهرة منذ أن أتيت منذ ثلاث سنوات. الشيء الوحيد الذي ساعدني على ذلك آنذاك كان هو عملي واشتراكي أيضا في الفرقة المسرحية"

الآن فقط أفهم ما تريد الوصول إليه. أقول لها:

"هل تحدثت أمي معك عن شيء؟"

تقول لي:

"لا هي لم تتحدث معي، كل ما في الأمر أنني رأيتك بالأمس في الفسحة المدرسية تحملين كاميرا للتصوير، وبالتالي أظن أنك تهتمين بالسينما والمسرح أليس كذلك؟"

"ربما يكون لديك رغبة في الاشتراك معنا، سنبدأ التدريب في الحال في صالة التدريب الكبيرة بالمدرسة الألمانية"

كل الناس تريد شيئا مني، الجميع يريدون مني أن أفعل شيئا، أن أستمر في وظيفتي في الحياة وألا أواجه أيًّا من الصعوبات في المدرسة المختلطة بكل الجنسيات والتي من المفترض أن تتعايش في سلام مع بعضها البعض، لماذا لا تتركني الأستاذة إشفيجر في حالي حتى أفعل ما أريد!

تنهض مدرسة الفصل وتثبت حقيبة يدها تحت ذراعيها وتقول:

"يجب أن أذهب الآن، نحن نقوم الآن بالتدريبات على مسرحية "دورينمارت" بعنوان "زيارة السيدة العجوز".

"زيارة السيدة العجوز" هي من أحب المسرحيات إلى قلبي. كان أبي قد نصحني بقراءتها منذ وقت طويل قبل أن تدخل في المادة المدرسية. لقد سحرني هذا النص، تعلمت من هذا النص كيف يمكن للإنسان أن يكون قادرا على أن يفقد كل إنسانيته خصوصا مع تعاظم كل الرغبات الشخصية والطمع. بطل هذا العمل "إيل" يدفع زوجته "كلير" للعمل في الدعارة بعد أن حملت منه ثم يطردها من البلدة، وبعد أعوام طويلة تعود مرة أخرى بعد أن أصبحت ملياردير، تعود هذه المرة ومعها رغبة في الانتقام! تعود بوعد منها بتوزيع مائتي مليون فرنك على سكان القرية الصغيرة في حال قتلهم البطل، في البداية يُبْدون استياءهم وعدم رغبتهم في فعل ذلك، ولكنهم يقومون بقتله في النهاية.

أحمل في اضطراب حقيبة ظهري وأمرّ عليهم في الصالة لأرى ماذا يفعلون، لم يتمكن أحد من إجباري على التمثيل.

الشيء الذي لم أخبر السيدة إشفيجر عنه هو أنني لا أستطيع إطلاقا التمثيل أمام الناس.

العمل وراء الكاميرا لا يمثل أي مشكلة، لكن الوقوف أمامها يجعلني أفقد أعصابي. كان الظلام قد عم الصالة الكبيرة عدا خشبة المسرح التي ظهرت كنقطة مضيئة، جلست الأستاذة إشفيجر بين ما يقرب من عشرين تلميذا في دائرة، بعضهم كان في سني، والبعض الآخر كانوا أكبر مني بقليل، كانت دينا بينهم، عندما رأتني لوَّحتْ إليَّ وقالت.

" أنا سعيدة أنك ستشتركين معنا"

كنت على وشك إبداء نوع من الاعتراض ولكن الأستاذة إشفيجر صفقت بيدها وشرعت في الكلام:

"هيا نبدأ، لقد أخبرتكم عن المسرحية التي سنقوم بتقديمها هذا العام، وكما تعرفون فإننا مثل كل عام لا نقوم بتمثيل النص الأصلي بل نقوم بعمل النص المعدل والمعالج منه"

تحدث يوسف قائلا بحماقة وكأن هذا هو الذي ينقصنا:
"وطبعا هذه المعالجة قمتِ أنتِ بها مثل كل سنة"
قالت الأستاذة إشفيجر:
"صحيح! نعم لقد اختصرت النص وجعلته ملائما للبيئة المصرية، وجعلت أحداثه تدور في طنطا بدلا من مدينة جويلن"
ينفجر الجميع في الضحك ومعهم الأستاذة إشفيجر.
مالت دينا ناحيتي وقالت:
"طنطا هي مدينة صغيرة في الدلتا، أعتقد أنه لا يوجد من سيختار المعيشة هكذا بحرية ومن تلقاء نفسه"
وجدتني أيضا أبتسم، لقد كان الانتقال من جويلن إلى طنطا رائعا.
قالت الأستاذة إشفيجر:
"أقترح أن نبدأ أولا بتوزيع الأدوار، ومنها "كلير" المليارديرة، وحبيبها السابق "إيل"، لقد صورت لكم مشهدين حتى يكون بإمكانكم أخذهما معكم لنناقشهما في المرة القادمة"
يتحرك الجميع سريعا نحو الأستاذة إشفيجر ويلتفون حولها لينزعوا من يديها النص المصور. في النهاية يتبقى معها نص وحيد. تتحدث قائلة:
"كيارا، هل ترغبين في الحصول على النص"
أهز كتفي علامة على الموافقة.
الأستاذة إشفيجر تُعطيني النص مبتسمة وتقول:
"كيارا انتظري، أليس هناك تشابه بين اسمك واسم "كلير، والاسمان مشتقان من اسم كلارا ومعناه هو...!"
أقول لها وأهز رأسي:
"معناه المعروفة والمشرقة أو الساطعة"
ينظر الجميع نحوي في شغف وتقول دينا صائحة:
"كيارا، المخرجة الشهيرة"
"هل ستبدءون من جديد في طريقتكم هذه، إن الإخراج هو مجرد هواية أمارسها"
يقول يوسف:
"دعكم من هذا الأمر، المهم أن حصولك على هذا الدور سيكون ظريفا جدا"
يضربه رامي في قفصه الصدري ويعلق قائلا:

"تماما وأنت ستكون الحبيب "إيل"
كنت أرغب أن أختفي داخل نعش مظلم بسبب كلامهم المحرج، لكن الأستاذة إشفيجر قالت:
"اتركوا النصوص المصورة الآن، فلن نقوم باختيار الأدوار اليوم، ولكننا سنقوم بعمل شيء آخر، سنقوم بعمل بعض التدريبات الارتجالية للتسخين لبدء البروفات. هيا انهضوا واختاروا أماكنكم فوق خشبة المسرح بشكل منظم"
قلت لنفسي: هذا أيضا الذي كان ينقصنا، تدريبات ارتجالية!

***

في صباح اليوم التالي لم أستيقظ على صوت المنبه، بل أيقظتني أشعة الشمس ووجدتني أجمع أفكاري ثم تنبهت أن اليوم هو يوم الجمعة، يوم الإجازة المدرسية، وهذه هي واحدة من خبائث الأمور هنا، حيث لا يمكن للمرء الحصول على إجازة حقيقية للراحة بشكل متواصل، بل يوم الجمعة ويوم الأحد، وأين؟ في المدرسة الإنجيلية الألمانية، التي يدرس بها ثمانون في المائة من المصريين وأغلبية ساحقة من المسلمين، الجميع يصلون يوم الجمعة.
لقد تعلمت منذ فترة قصيرة ما يعنيه المصريون بعبارة "إن شاء الله" فهي عبارة ترمي إلى ما ينوي المرء عمله في المستقبل وما يخطط إليه، لأن النية والتخطيط من أمر العبد، بينما التدبير والمشيئة من أمر الرب. وماذا سأفعل اليوم إن شاء الله.
يدق الباب، يظهر رأس أبي من خلفه ويتحدث قائلا:
"صباح الخير أيتها النائمة حتى الظهر!"
"صباح الخير"
يشد أبي الستائر ويقول:
"الإفطار في الانتظار، حقيقة أنه لم يعد إفطارًا، بل غداء، لقد دعت والدتك أصدقاءها من النادي على الإفطار"
"على الإفطار؟!
كان من الممكن أن تخبرنا بذلك!"
"لا تكوني حساسة بهذا الشكل"
أسأله:
"وأنت، هل أنت سعيد بالسيدات الموقرات"؟
أبي يبتسم ويقول:

"أنا لابد أن أذهب في الحال، عندي ميعاد لعمل لقاء صحفي مع مصمم للأفيشات الإعلانية"

"جميل، إذن أتمنى لك وقتا سعيدا"

"الأسبوع القادم سنخرج أنا وأنت وحدنا، فقط نحن الاثنان، هذا وعد"

أبي كان على وشك أن يمد يده حتى يمسح خدي لكنني قمت قبل أن يفعل ذلك. لم يكن لديَّ أدنى رغبة في الإحساس بعطفه عليَّ.

بعد أن ذهب أبي وضعت على جسدي معطف الصباح للذهاب إلى الحمام، سمعت صوت ضحك السيدات أسفل، باب غرفة هانو كان لا يزال مغلقا. بالأمس كان قد عاد متأخرا في الليل لأول مرة بعد تجوله بين العديد من مقاهي وسط البلد.

كم كنت أتمنى أن تكون شخصيتي بسيطة مثل شخصية أخي هانو. أخذت قرارا أثناء استحمامي وهو أن أكون اليوم أكثر أنانية مثل الوسط المحيط بي وأخرج وحدي، ويمكنني أيضا أن أتناول إفطاري بالخارج، وبهذا يمكنني أن أوفر على نفسي سماع أحاديث السيدات الموقرات.

لكنهم للأسف اصطادوني حينما مررت متسحبة بجانبهم إلى المطبخ، قالت أمي:

"تفضلي يا كيارا معنا للحظات قصيرة"

أخذت السيدات الأربع تتفحصنني من قدمي حتى رأسي، ففعلتُ معهم نفس الشيء، كن جميعا مغطيات بالمكياج في مثل هذا الوقت المبكر من اليوم، ولمعت أمي بينهم بملابس المثقفات، سألت إحدى السيدات في ملبسها الوردي:

"وما هو رأيك في القاهرة؟"

سألت أخرى:

"هل تعرفت وتعايشت مع المدينة؟"

شبكت ذراعي فوق صدري وقلت:

"كل شيء تمام، وأنتم، كيف أحوالكم؟"

ردت السيدة الثالثة:

"شكرا بخير، كنا نرغب اليوم في لعب الجولف والذهاب بعد ذلك إلى الهيلتون لنتناول شاي الساعة الخامسة، ووالدتك لا تريد أن تأتي معنا، أفلا يمكنك أن تقنعيها بذلك؟"

نظرات أمي المضطربة لم تدل إلا على شيء وحيد: أرجوك لا! ولا عجب في ذلك لأنها تكره لعب الجولف وأيضا لقاء ربات البيوت المتجملات. قلت لها:

"لماذا لا تذهبين معهم، إنها دعوة لطيفة"

والآن يجب أن أذهب قبل أن يرشوا رأسي بأحاديثهم.

أخيرا نجحت فيما كنت أرغب فيه، الآن أنا حرة ولأول مرة أخرج منذ أيام، كما أنه لديَّ اليوم رغبة هائلة في التصوير بالكاميرا.

لحسن حظي أنني لا أحتاج إلى خريطة للشوارع في منطقة المعادي، فسأسير في شارعنا ثم أنحني للشارع الرئيسي، ومن هناك يمكنني أن أسير حول الميدان ثم أتوجه إلى المحلات الموجودة في المول حيث كنا نقطع الطريق بجانبه بالسيارة فقط، سيكون المول شيئا لطيفا، وبالتأكيد سأجد هناك كافيتريا.

مبنى المول يبدو قبيحا من الخارج، الحوائط الخرسانية ذات اللون البني الداكن، من الداخل لم يكن المول أجمل، لكنه على الأقل كان مكيفا. يبدو أنني في المستقبل لن أذهب لأماكن أخرى غير المولات حتى أتجنب درجات الحرارة المرتفعة.

على جوانب المول كانت المحلات التجارية متراصة وفي الوسط عثرت بالفعل في المساحة الفارغة على كافيتريا. جلست فوق الكرسي ولاحظت أنني متعبة، شعرت بأن الأسبوع المدرسي كان مثل شهر كامل، جاءني صوت عاملة الخدمة التي انحنت قليلا نحو كتفي:

"do you like something to drink?"

طلبت عصير برتقال وسندوتشًا، بعد دقائق أحضرت عصيرًا طازجًا ومعه كوب من الماء بجانب السندوتش، عصير البرتقال كان لذيذًا جدا، وكان أرخص من عبوة البرتقال العادية التي نشتريها.

صعدت بعد ذلك بالمصعد إلى أعلى في الدور العلوي وبدأت أصور بالكاميرا، كان هناك سينما وأرجوحة صغيرة للأطفال، كان هناك فيلم للممثل برايت بيد، بالتأكيد إنه كان سيعجب دورو، لكنني لا أرغب في التفكير فيها الآن.

أصعد من طابق إلى آخر بدون هدف محدد، أتلمس بيدي سطح الدرابزين المتسخ. أمرّ بجانب عدد هائل من محلات الأحذية، فمحلات الملابس هنا قليلة وحينما يجد المرء واحدًا، فإن الملابس تبدو معدومة الهيئة مثل الأجولة ويلحق بها دائمًا الحجاب المناسب، فجأة سأل صوت جاء من جانبي:

"هل تبحثين عن شيء محدد؟"

كانت "مايكه" رئيسة البنات المدللات في الشلة الألمانية في المدرسة، طبعًا كان لابد أن أقابلها هنا، أوقف التصوير بالكاميرا وأضعها في الحقيبة ثم أجيبها:

"كنت أشاهد المحلات هنا"

تتفحصني "مايكه" بلهفة وبدلاً من أن تقول شيئًا، أخرجت المرآة من حقيبتها وأخذت تشاهد حال مكياجها. تطبق المرآة مرة أخرى وتتفحص شعري القصير:

"عامةً إذا كنت في حاجة إلى مشدات شعر أو مشبك من هنا توجد أنواع رخيصة"

أظهرت تجاهلاً لسخريتها مني وتكلمت معها ولكني لم ألحظ شيئًا.

"أشكرك على النصيحة"

"لا شكر على واجب، نحن الألمان هنا يجب أن نتكاتف معًا، أليس هذا رأيك أيضا؟"

كانت تحاول أن تستفزني حتى أتقرب منها وأشحذ صداقتها، ولكن يمكنها الانتظار لمدة طويلة، في هذه اللحظة تحدث صوت من خلفي قائلاً:

"بست"

مر من أمامي شباب مصري عمره يقرب من العشرين عامًا، كانت "مايكه" تريد أن تكمل سيرها ولكنه سبقنا بالقول:

"Hey girls, you are so sweet like honey, where do you come from"

أجبته قائلة:

"from Germany"

تكلَّمتْ مايكه بهمس قائلة:

"هل أنت مجنونة؟ الآن لن نستطيع التخلص منه أبداً"

يبتسم لها الشاب ابتسامة عريضة ويتفحصها من أعلاها إلى أسفلها بسعادة. كانت ترتدي ملابس ضيقة وقصيرة إلى حد ما بالنسبة لطبيعة الملابس في مصر، بالتأكيد أن الشباب بدءوا في معاكستنا بسبب هيئتها.

تقول مايكه:

"أنت يا ..."

الشاب يلمس شعري بيده ويتحدث باللغة الإنجليزية:

"شعرك قصير جدا، حتى أقصر من شعري"

أضرب يده بعيدا:
"لو سمحت لا تلمسني!"
"أنت جميلة جدا"
يقترب مني أكثر ويتحدث باللغة العربية بجمل كثيرة لم أفهم منها شيئا، فتتدخل مايكه متحدثة باللغة العربية:
"أنت عندك مشكلة ولا إيه"
هو لا يعبأ بكلامها ويقترب مني أكثر لكنها تصرخ في وجهه قائلة:
"ما لك!"
بدأ في التراجع إلى الوراء وتتبعنا قليلا لكنه ترك الأمر في النهاية. كان قلبي يدق بسرعة، شكرت مايكه، خبطت فوق جبهتها لتظهر دهشتها وقالت:
"لا يجب أن تظهري أي نوع من الاهتمام حينما يقوم أحدهم بمعاكستك، يجب أن تكملي ما تفعلينه وكأنه ببساطة غير موجود"
"لقد فهمت الأمر، ماذا قلت له؟ هل تحدثت معه باللغة العربية؟"
ضحكت مايكه وقالت إنني يمكنني أن ألاحظ تحدثها باللغة العربية حينما يصبح صوتها عاليا، وترجمت لي ما قالته للشباب وأبديت لها إعجابي بذلك.
تنظر مايكه إلى ساعتها وتقول:
"اللعنة، لابد أن أذهب الآن، عندي ميعاد"
"إذن سلام"
أخيرا تذهب وتتركني وحدي. عندما عدت إلى البيت كانت سيدات النادي الموقرات أيضا قد غادرن منزلنا ولم أجد أمي، هل ذهبت معهم للعب الجولف!
كان هانو يجلس مع ثلاثة أصدقاء مصريين، بالتأكيد هم الثلاثة الذين سيكوّن معهم الفريق الموسيقي، يقول هانو مع تحركهم أثناء دخولي عليهم:
"ما لكم، اجلسوا في مكانكم، إنها أختي الصغرى كيارا"
يقول أحدهم:
"أهلا يا كيارا"
بينما يهز أحدهم رأسه ليُحييني ويتحرك في مكانه، يقول ثالثهم:
"نحن كنا على وشك أن نذهب الآن على كل حال"
يتوجه الأول نحوي ويقدم نفسه قائلا:
"أنا سليم، وهذا هو حازم وأحمد، نحن ندرس في نفس الفصل الدارسي مع هانو"

أهز رأسي، سليم يبتسم، له شعر أسود، وعيناه بُنيتان داكنتان، وخصلات شعره تدلت مقتربة من جبهته، كان مظهره لطيفا ويدل على تقدم سنه مقارنة بأصدقائه الآخرين:

"أتمنى لكي مساءً جميلا وسعيدا"

أنظر إليه في ذهول مستقبلة كلماته التي تذكرني بقصص ألف ليلة وليلة، أصدقاء سليم يضحكون فينظر إليهم سليم، لكن هانو يسرع قائلا:

"يمكننا أن نذهب الآن إلى البدروم حتى تشاهدون الطبلة"

يقول أحمد:

"شكرا، الآن أصبح الوقت متأخرا ويجب أن نذهب"

يسلم علينا الثلاثة ويرحلون بينما أبقى أنا في دهشتي، بعد أن ذهبوا يلقي هانو بنفسه فوق الأريكة ويضحك قائلا:

"أرجو ألا تتوهمي أشياء كثيرة، فهذه هي طبيعة سليم وكثير من المصريين، فهم يحيون بعضهم البعض بحميمية زائدة"

أرد قائلة:

"أنا لا أتوهم شيئًا، ويكفيني ما رأيته في المول، لقد جعلني ذلك لا أرغب في معرفة شيء عن الرجال في مصر"

يأخذ هانو علبتي كوكاكولا ويُعطيني واحدة ويقول:

"أرجو ألا تكوني على موعد جديد للخروج"

"لا أنا سأبقى هنا"

يقول هانو:

"أظن أن الشباب المصريين محافظون تماما في معاملة البنات"

أرد قائلة قبل أن أحكي له قصة الشاب في المول:

"بعضهم ليس محافظا على الإطلاق"

يقول هانو مندهشا:

"شيء رهيب، الحمد لله أنني لست بنتا"

أتذكر الفتاة المحجبة التي رأيتها في أول يوم لنا في المدرسة مع هانو وأسأله:

"وماذا عن البنات المصريات؟"

"هم أصعب وأشد، لقد تكلمت مع الفتاة المحجبة وأهانتني ورفضتني، وكأنني طلبت منها شيئا خليعا، كل ما كنت أريده أن أتعرف عليها وأدعوها لشرب كوب من الشاي"

أكتم ابتسامة كادت تطل مني وأفكر في أن هذا أمر جديد وهو أن لا يقدر هانو على الوصول إلى فتاة ما، أسائله:

"إذن سوف تترك الأمر"

"لا أعرف ولكن يمكنني أن أحاول الوصول إليها عن طريق صديقتها"

يبتسم فجأة ابتسامة بلهاء تدل على تمنيه شيئا محددا مني:

"لا، أرجوك، انْسَ هذه المسألة تماما، أنا لن أساعدك في شيء، من يعرف ما وراءها، ربما أتورط في مشكلة مع والديها، وربما يكونون متشددين"

يقول هانو ثم ينهض:

"براحتك، سأذهب للدق على الطبل"

هذا ما اعتدت عليه من "هانو" دائمًا، عندما لا يحتاج إليَّ في شيء أعود مرة أخرى لأكون أخته الصغيرة، لكنني قادرة دائمًا على معيشة يومي دون الاحتياج إليه.

أصعد إلى غرفتي وأفتح الكمبيوتر للاطلاع على إيميلاتي، لم أطلع عليها منذ عدة أيام حتى أترك "دورو" تنكوي بنار البعد، كانت قد بعثت لي بثلاثة إيميلات ممتلئة بكلام تافه وجاء في آخرها:

عزيزتي "كيارا"،

أين أنت، هل حدث زلزال في القاهرة أم وجدت حبيب العمر، لو أنه كان الزلزال لعرفنا ذلك من خلال التليفزيون، لابد وأنك قد وجدتِ حبيبًا، وأخمن أنه ممثل مصري جذاب تعرفتِ عليه أثناء تصوير أحد المسلسلات، لا تتركيني أتلهف أكثر من ذلك لمعرفة أخبارك، لقد فشلت تمامًا في امتحان الفيزياء واضطررت للجوء إلى الغش، لقد ساعدتني البنات بحجة دخولهن إلى الحمام ولم يلحظ أي من أفراد اللجنة ما حدث، لقد كان ذلك هو نكتة هذا العام.

كل تحياتي وسلامات من البنات

دورو

يبدو أن "دورو" لا تفهم أي شيء، هي تجعلني أجن بآرائها وعدم إدراكها أن هناك زلزالاً ولكنه زلزال داخلي حدث منذ مجيئي إلى هنا وأدى إلى هدم كما هو ثابت في حياتي، هي لا تتحمل تعبي لأنها لا تستطيع أن ترى إلا مشاكلها وما هو أكثر من ذلك لن يؤدي إلا إلى تعكير مزاجها، أهم ما عندها هو أن تكون هي بخير، ماشي، سوف أعطيك ما ترغبين في سماعه.

الفصل الخامس

ترددت طوال الفترة السابقة ما بين الخروج من الفرقة المسرحية في المدرسة أو البقاء فيها، ورغم أنني مهتمة جدا بالنص إلا أننى حينما أكون منشغلة بشيء ما فإنه من الصعب علي أن أبدو بشكل عادي دون بلاهة. وهذا هو بالتحديد الشيء الذي لا أرغب فيه إطلاقًا، ولكن الأمر كان مثل المشيئة الإلهية..

بعد الحصة المدرسية الأخيرة يوم الخميس علقت "دينا" على الأمر قائلة:

"اتركيني في همي يا كيارا، سيقتلني الاضطراب، لابد أن تعرفي أني أحب التمثيل المسرحي بشدة ولكن التدريب على النصوص هو الذي يخيفني".

مضطربة؟ وما هو السبب؟ خصوصًا أنت يا دينا، أكثر البنات انطلاقًا في العلاقات الاجتماعية؟ ولا أصدق كلمة واحدة مما تقولين، ربما يكون ما تدعيه ستار حتى تتعرفي على نقاط ضعفي.

انهالت دينا علي بالكلام دون أن تترك ذراعي ولو لثانية واحدة، ووجهتني نحو صالة المسرح، حيث أتى أعضاء الفريق واحدًا تلو الآخر.

كانت السيدة إشفيجر تجرب الأضواء، كانت تحاول فصل كشافيْ إضاءة لتحويل خشبة المسرح إلى قاعة للمحاكمة، هناك شيء وحيد أنا متأكدة منه تمامًا وهو أنني لن أقوم بعمل دور المتهمة تحت أحد الكشافات.

للأسف كانت السيدة إشفيجر ماهرة في التعامل مع الفنيات الكهربائية وصفقت لنا، الجميع كانوا موجودين عدا رامي ويوسف، قالت السيدة "إشفيجر"

"هل رأى أحد منكم الاثنين؟"

كان الرد على إجابتها عبارة عن ضحك وهز الرأس بالنفي، في هذه اللحظة تسلل كل من يوسف ورامي إلى الداخل فقالت السيدة إشفيجر:

"هيا أسرعوا، المرة القادمة لابد أن تأتوا في ميعادكم، ليس لديَّ أي رغبة في العمل مع المتأخرين مثلما حدث العام السابق.

يقول بعض الموجودين:

"نعم"

لكن وجوههم أظهرت انطباعًا بأنهم لم يسمعوا جيدًا ما قالته الأستاذة إشفيجر، التي قامت بعمل بعض التمرينات التحضيرية ثم أخرجت الأوراق من حقيبتها وقالت:

"إنني متشوقة لمعرفة أدواركم المختلفة والمشاهد التي ستقومون بأدائها، يمكنكم القراءة من النصوص أو القيام بارتجال حر من ابتكاركم، كما تشاءون، من الذي يرغب في البداية الآن؟

كاترينا ترفع يدها. كانت شقراء وملابسها مهندمة تمامًا وتصعد مثل عارضات الأزياء فوق خشبة المسرح بنوع من الملل.

شكرتهما الأستاذة إشفيجر ثم سألت: "ومن سيأخذ دور إيل"

تقدم في الحال ثلاثة شباب من المصريين وتزاحموا على الدور، كان هذا طبيعيًّا، فمن منهم لا يرغب في التمثيل مع شقراء فاتنة.

تختار الأستاذة إشفيجر "رامي" الذي يصعد إلى خشبة المسرح بوجهه محمرًّا من الخجل.

رامي وكاترينا يتحدثان قليلاً حول دور الاثنين في المشهد الأول من البروفة، حيث يلتقي فيه إيل مع حبيبته السابقة التي أصبحت ملياردير.

رامي يسلم على كاترينا بشكل مبالغ فيه وكأنهما مازالا أحباء حتى الآن.

"لقد كانت أروع الأيام في حياتي تلك التي قضيناها معًا"

ردت عليه كاترينا بهذه الجملة ولكن صوتها بدا وكأنه يخرج من دولاب مصنوع من الثلج.

رامي يبدو أكثر اضطرابا ويتلعثم في الكلام بينما تظل كاترينا هادئة في نوع من الإتقان الذي رأيته شديد المبالغة.

صحيح أن كيلير كانت تتحكم في نفسها للموازنة بين غليان الحب والكره بداخلها إلا أن دورًا كهذا يجب أن يقدمه المرء بطريقة مختلفة.

الاثنان الآخران والعلاقة بينهما كانا يتمثلان في كل من دينا ويوسف، اللذيْن تحول تمثيلهما إلى تهريج حتى إنه كان من الصعب فهم النص بسبب ضحكهما.

في العلاقة الثالثة قام بالدور ولد قصير من الفصل الثاني الثانوي لم أنتبه إليه من قبل واسمه نور، حينما لعب دور إيل وصعد على خشبة المسرح غيَّر تمامًا من معالم شخصيته وأدى الدور بخليط حقيقي بين الشخص الذي يشعر ويتأرجح بين عدم الأمان وتأنيب الضمير والارتياح والمبالغة في تقدير النفس والممثلة التي لعبت الدور معه كانت ياسمين التي تدرس معي في نفس السنة

الدراسية وأدت الدور بحضور جسدي ممتاز رغم ارتجالها الحر بدون نص. بعد انتهاء المشهد كان هناك انجذاب وانشداد واضح للجميع خلّف بعده حماسًا. صفقت بقوة لها وشعرت بخفقان قلبي مع ذلك. لقد أصبح الآن من الواضح كيف سيكون القرار، ولا يجب أن ألوم نفسي على شيء.

عندما عاد كل من ياسمين ونور إلى الصالة التفتت الأستاذة إشفيجر إلى الجميع وقالت:

"دعونا نكمل لعب الأدوار" تنظر الأستاذة إشفيجر إلى ملامح وجهي المحبطة وتسترسل موضحة بهدوء!

"نعم أنا أرغب في رؤية الجميع فوق خشبة المسرح حتى من لا يرغب في لعب الدور الأول في المسرحية"

أنا لا أريد

دينا تعطيني دفعة بذراعها، يتحرك نصف جسدي الأعلى متمايلاً.

يبدو أن الأستاذة إشفيجر لا تفهم الأمر جيدًا:

"جميل جدًّا يا كيارا"

الجميع يصفقون فلا يتبقى أمامي غير الصعود على خشبة المسرح في تأرجح واضطراب وفي يدي الأوراق، ويتبعني "دانيل"، شاب بدين في نفس العام الدراسي، وهكذا أصبحنا زوجي الأحلام الرائعين.

يدي أخذت تعرق وزادت كشافات المسرح من وطأة الحرارة فأصبحت الأمور أسوأ، أنظر في الورقة فأرى حروف النص تجري أمام عيني.

تكلم "دانيل" في البداية بطريقة مملة:

"لقد تزوجت مني بسببك"

أين هو السطر المطلوب، إنني لا أجده. يكرر "دانيل" جملته ثانيةً، ولكن هذه المرة بشكل أكثر ملالً وبطئًا، بعض التلاميذ يضحكون والبعض الآخر يتحدثون بصوت عالٍ باللغة العربية، يبدو أنهم يسخرون مني مرة أخرى. أخيرًا وجدتُ الجملة الافتتاحية، أبتلع لعابي، ورغم هذه يخرج صوتي وكأنني ابتلعت كوبًا من الرمال فأخذ صوتي يخشخش وقلت جملتي معتصرة إياها:

"كان لديها أموال كثيرة"

بدأت أحرك أصبعي فوق السطور حتى لا أغرق مرة أخرى ثم أقرأ الجملة التالية لذلك بسرعة شديدة في الوقت الذي يقول فيه "دانيل":

"أشعر وكأنني في الجحيم منذ أن تركتيني"

فجأة تذكرت دورو وبقية البنات. من المؤسف أنهنّ تخلَّيْن عني، وأن هذه الصداقة الرائعة ضاعت بمجرد انقضاء أسبوعين بعيدًا عنهن.

عضلة قلبي تتقلص مع اندفاع الدم وأشعر فجأة أنني غاضبة بشدة، وأضع كل هذا الغضب في الجملة التالية:

"وأنا أصبحت الجحيم نفسه"

ينظر "دانيل" إليّ في فزع ويضيع عنه هدوؤه الكسول ويبدو في الجملة التالية بنوع من التحفز، يسود الصمت في المكان بعد إلقاء جملتي الأخيرة، أرتعش وتسقط الأوراق من يدي ثم أنظر نحو كشافات المسرح، كنت أعرف أن جملتي كانت بشعة وكريهة ولكن كل ما أتمناه هو أن يصفق لي ولو حتى شخص واحد.

بعد ذلك أتى التصفيق، لم يكن حادًّا ولكنه استمر لحسن حظي حتى عدتُ مرة أخرى إلى مكاني، قالت الأستاذة إشفيجر:

"لديك حس جيد يا كيارا، ويجب أن تنمي عملك في التمثيل"

أهز رأسي بالموافقة حتى تتركني في هدوء، بقية الأدوار تمر عليّ بسرعة شديدة، وبعد انتهاء البروفة تترك الأستاذة للجميع اختيار المناسبين لعمل الأدوار الرئيسية وبالطبع تم اختيار كل من نور وياسمين. لن أسامح الأستاذة إشفيجر بسهولة بعد أن رمت بي سريعًا فوق خشبة المسرح دون أن أكون على استعداد كافٍ، لم يكن لديها فعلاً حساسية مرهفة.

****

قام أبي سريعًا بتنفيذ وعده لي، فبعد أسبوع واحد منذ حديث يوم الجمعة وضع زجاجتين من الماء في حقيبة ظهره ولوح لي قائلاً:

"هل أنتِ مستعدة الآن لمفاجأة القاهرة"

في الحقيقة كنت أفضل أن أبقى يوم الجمعة في غرفتي وأشاهد بعض أفلام الـ DVD أو بعض الأفلام التي قمت بتصويرها ولكن إذا فعلت ذلك فستمر بالتأكيد عدة أسابيع حتى يكون لدى أبي الوقت المناسب مرة أخرى.

قلت له إنني موافقة وأسرعت بالبحث عن أشيائي. وعندما وصلنا إلى محطة مترو الأنفاق لاحظت أنني نسيت كاميرتي. اللعنة!

نأخذ المترو من المعادي إلى وسط البلد. لأن السفر بالمترو أكثر راحة في حركته المستقيمة عن تلك المنحنيات المزعجة التي تسير فيها السيارة، بعض تدفقات الهواء المرطبة كانت تصل إلينا في الداخل عن طريق النوافذ

المفتوحة. معظم من في عربتنا كان من النساء، أخذن ينظرن إلينا بلهفة. أتاني شعور وكأني مثل قرد يشاهده زوّار حديقة الحيوان.

أبي لم يعبأ إطلاقًا بنظرات الآخرين، بل أخذ يحكي ويتحدث عن انطباعاته عن أحداث الأسبوع الماضي. تحدث عن رسام الأفيشات، عن سوق الليمون والمساجد العتيقة والبيوت العربية بمشربياتها، هذه المشربيات التي تجعل الهواء الساخن يدور حتى يلطف المكان، تحدث عن كورنيش النيل، أكبر وأشهر شوارع القاهرة، كنت أستمع إليه بنصف وعي وأرى من ناحية أخرى وجهه المبتهج بلمعة حماس وفمه المبتسم في الحديث عن كل هذا، هذا الحديث الذي أضاع عنه هم الأتربة والصخب والحر، فقط كان يستمتع بكل هذا، يتمتع بالحياة المصرية، بالطعام واللغة والناس، وكلما كانت الأشياء أكثر غرابه عنه، استمتع بها وأحبها أكثر وأكثر، أما أنا فكنت أرى الأمور على عكس ما يراها هو تمامًا.

اعتلاني أثناء مراقبتي له نوع من الحزن وتساءلت عن حماسه الشديد لكل هذا، للآخرين، لأشياء أخرى بعيدة كل البعد بآلاف الكيلومترات عنا، حماسه لمصر وليس لألمانيا، حماسه لرسام الأفيشات وليس لي.

نعم لماذا لم يتحمس ولو لمرة واحدة لي. فجأة أشعر رغم حبه لي ببعده عني، أشعر أنني لا أستطيع الإمساك به وأنه ليس بيننا حائط ولا نافذة واحدة، ولا حتى مشربية يمكنني التسلل منها إليه.

قاطعت شلال حديثه متسائلة:

"هل من الممكن أن أعرف إلى أين نحن ذاهبون"

قال أبي:

"لن أبوح لك بهذا السر إنها مفاجأة" طبعًا

ربما يظن أبي أنني مازلت طفلة يمكنه أن يفرحها بشراء بالون ملون. لكنني لا أريد أن أفسد عليه سعادته بهذا الأمر، خصوصًا أن هذه هي المرة الأولى التي نخرج فيها وحدنا، قال:

"هيا يجب أن نخرج"

مع نهاية جملته انتهى الهدوء إلى الأبد وتزاحمت أجسادنا وسط الأجساد الصاعدة إلى السلالم المتحركة عبر الحواجز نحو المخرج. أجساد غريبة ودافئة تلتصق بملابس وألفاظ عربية ممتلئة بحرف الخاء تملأ أذني، وقلت لنفسي "أنا الذي فعلت كل ذلك بنفسي".

كنت أرغب في المرور بنفسي بين الجميع ولكن لم يكن هناك مساحة واحدة فارغة بين كل الأجساد، وزاد الطين بلّة أنهم كانوا يتحركون ببطء شديد، فالجميع هنا في غاية الاسترخاء وكأنهم لا يعانون من أي قلق، تمنيت فعلاً أن أعرف كيف يمكنهم الوصول إلى هذه الحالة.

يجرني أبي نحو مخرج جانبي يلفظنا إلى شارع يطل على ميدان كبير ممتلئ بالأتربة. اليوم هو أيضًا واحد من تلك الأيام التي تخنقني فيها القاهرة تحت سحب الأتربة والرمال.

أضع نظارتي الشمسية حتى لا تدخل الرمال في عيني ولكن للأسف اليوم ليس معي سدادات للأذن. ويبدو أنه في هذا الميدان قد تخبطت كل السيارات الموجودة في القاهرة مع بعضها البعض.

قال أبي بعد أن أشار إلى مبنى أحمر غامق خلف تكوم السيارات:

"هيا لابد أن نعبر إلى الناحية الأخرى"

هل هو جاد فيما يقول، لم أصدق عيني مع تجاهل السيارات لخطوط المشاة الخضراء التي تسمح أولاً بعبور المشاة قبل السيارات.

ينطلق أبي مناديًا:

"أسرعي"

ألهث بأنفاس مسرعة خلفه، ونصل بالكاد حتى منتصف الشارع ثم نتوقف، تمر السيارات بسرعة جنونية من حولنا حتى تتجلى إلينا في النهاية مساحة فارغة للعبور فنجري من خلالها، نسمع أصوات الفرامل وإطارات السيارة التي تتوقف على بعد سنتيمترات قليلة منا، كان قلبي يدق بسرعة مهولة، ولكننا في النهاية كنا قد عبرنا الشارع ونجونا من الهلاك بمعجزة.

أخذ أبي ينظر إليّ ويضحك ولكن الضحك غاب عني منذ وقت طويل، قال أبي:

"سنتنفس الصعداء بعد ذلك لمرورنا عبر رحلة من الزمن القديم بنحو خمسة آلاف عام، حيث لم يكن هناك سيارات"

كنت قد رأيت المبنى الأحمر الغامق في أحد الكتب السياحية من قبل وعندما أصبحت على مقربة من المدخل تذكرت أنه بالطبع المتحف المصري. ليلى كانت تريد أن تأخذني إلى هنا، لكنني ظننت أن أبي يريد أن يأخذني لأشاهد معه القاهرة الأخرى الحديثة.

داخل المتحف امتلأ المكان بحركة السائحين والمجموعات السياحية الكبيرة التي كانت تذعن سائرة خلف المرشدين السياحيين مثل قطيع من الخرفان.

سحبني أبي نحو ممر جانبي بعيدًا عن السيل المتدفق للسائحين ثم تحدث قائلاً:

"هذه هي زاويتي المفضلة في المتحف، حيث توجد التماثيل الصغيرة التي تعبر عن الحياة اليومية البسيطة في مصر القديمة، فلاحون بسطاء وسيدات تخبزن"

أنظر عبر زجاج الفترينا وتعجبني بالفعل هيئة التماثيل الصغيرة المصنوعة بشكل بدائي، كان هناك امرأة تضع يدها داخل وعاء كبير وتصنع البيرة، كانت نظرتها تتجه إلى بعيد في حزن واستسلام، ترى فيما تفكر، هل تفكر في حياتها التعسة التي أجبرت عليها، أم تفكر في العمل الشاق وانتهاء وبداية الأيام، يوم تلو الأخر، وأنها لن تصل إلى حريتها حتى تموت، أليس الأمر كذلك!

لن أستطيع أن أفعل شيئًا مثلها حتى يصبح عمري ثمانية عشر عامًا.

قال أبي:

"أعتقد أن الطابق العلوي قد أصبح خاليًا من السائحين إلى حد ما، هيا تعالى معي حتى تشاهدى كنوز مقبرة توت عنخ آمون.

بعد المتحف أذهب مع أبي إلى بازار خان الخليلي ويأخذنا صاحب أحد المحلات داخل محله الصغير ويكرر جملته:

"أهلاً وسهلاً"

يقول أبي: "أهلاً بك".

ولم أكد أتردد قليلاً حتى سحبني البائع إلى الداخل وغمز لولد صغير يحمل صينية معدنية معه ويمر بالصدفة بجانب المحل، فدخل الولد إلى الداخل ووضع كوبين من الشاي أمامنا فوق الطاولة، يقول:

"Here, Some Tea For You, Shai"

كان كوب الشاي يخرج أبخرة وسبحت بعض وريقات النعناع فوق سطح الشاي، انحنى أبي قليلاً وقال شيئًا بالتأكيد يعني الشكر فكررت أيضًا قائلة:

"شكرًا"

يبتهج البائع ويغمرنا بشلال من الكلام العربي، ينصت أبي إليه باهتمام ويهز رأسه من وقت إلى آخر ويجيب باللغة العربية بشكل متقطع ولكن كلامه

يجعل البائع يبتسم أكثر مما كان عليه ويتحدث الاثنان دون انقطاع وأبقى أنا لا أفهم شيئًا، أنفخ في الشاي الساخن حتى يمكنني أن أشربه، ولكنني أصدم عند تناولي الرشفة الأولي، بأن الشاي لم يكن شايًا بالسكر، بل كان سكرًا عليه قليل من الشاي، أزيح الكوب من أمامي دون أن يلحظني أبي أو البائع، كانا يتحدثان معًا وكأنهما يعرفان بعضهما منذ وقت بعيد، وأثناء الحديث يبدأ التجار بعرض شيشة على أبي بشكل عارض.

أثناء ذلك ينضم آخر ليساعده، ثم يأتي أكثر من شخص ويفعلون نفس الشيء، ربما يكون هناك صلة قرابة بينهم جميعًا.

كانت الشيشة كبيرة الحجم تذكرني بجهاز التنفس الصناعي في المستشفيات. بدأ التجار يدخلون علينا بأصناف شتى وأحجام مختلفة، شيش بكل ألوان الطيف، أخذ أبي يتفحص كل واحدة ويمتدح مزاياها أو على الأقل كان يظهر بوجهه التعبير المناسب عن كل شيشة.

كان المكان داخل المحل خانقًا وحارًا، حاولت جاهدة أن أزحزح أبي لكي نذهب، ولكنه كان ينبغي عليَّ أن أوفر طاقتي بدلاً من جهد المحاولة، لأنه حينما ينشغل بشيء يصبح غير قادر على استيعاب أي أمر آخر.

لم يتوقف الأمر عند هذا الحد، بل أخذ البائع الآن يشعل الشيشة ويضع عليها الفحم وتبغ التفاح، يأخذ أبي النفس الأول ويكركر الماء في الشيشة، كان العاملون الآخرون يبحلقون في أبي منتظرين رد فعله بعد أن حركتُ يدي لأبعد الهواء والدخان عني، يتذوق أبي الدخان ويترك لنفسه برهة ثم يهز رأسه ويأخذ نفسًا ثانيًا ويكرر ذلك عدة مرات.

لم أتحمل أكثر من ذلك فنهضت قائلة:

"أبي سأذهب الآن وآخذ تاكسي، يهز أبي رأسه بالموافقة. حينما خرجت من مدخل المحل لم أستطع رؤيته بسبب اختفائه خلف سحب الدخان، تحركتُ بين الحارات الضيقة ودفعتُ بكل من حولي مستعينة بذراعي حتى ظهر أمامي الشارع الضيق للخان وبعده ميدان كبير به نافورة، بقيت في مكاني وتنفست الصعداء.

مرت سيارة بجانبي واستخدم من فيها آله التنبيه، قلت لنفسي: هؤلاء الحمقى لا يرحمون أي ظروف صعبة، سمعت مرة أخرى صوت آلة التنبيه، ألتفت ناحية السيارة وأبحث عن إحدى جمل التوبيخ التي تعلمتها من "مايكه" فيخطر ببالي:

"إيه ده"

يبتسم سائق التاكسي ويفتح باب سيارته، تذكرت ما فعله أبي فيَّ، وكدت أن أركب التاكسي، لكنني قلت:

"المعادي، ٢٠ جنيهًا"

تغير وجه السائق قليلاً ثم قال:

"٢٥ جنيه"

أتركه وأذهب، فحافظة نقودي لم يكن بها إلا عشرون جنيهًا كما أن السائق كان مُلحًّا بشدة، نادى علي مرة أخرى:

"تعالى، سآخذ عشرين جنيهًا"

ألتفت له مرة أخرى في دهشة وأركب معه، وأشعر بحسن حظي لأول مرة في هذا اليوم.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل السادس

كان ينبغي عليَّ أن أعرف أن سعادتي لن تستمر كثيرا بعد قدومي إلى القاهرة. أعطي سائق التاكسي عشرين جنيها من الفئة الورقية بعد أن وصلنا أمام البيت، يضع النقود في جيبه ثم مد يده نحوي مرة أخرى، أهز رأسي يمينا ويسارا علامة على رفضي لطلبه مما يجعله غاضبا:

"No, That is not enough"

"هذا هو تماما ما اتفقنا عليه"

أفتح باب التاكسي المجاور لكنه يمسك بذراعي ويقول:

"five pounds"

أصيح قائلة:

"No I said Twenty Pounds"

قال سائق التاكسي مندهشا:

"Twenty five pounds"

أقول لنفسي:

"الآن سأفقد صبري، هل جن جنونه"

فجأة يأتي من خلفي صوت غاضب كان يتحدث باللغة العربية، ويحركني بخفة جانبا، كان سليم.

مال بجسده داخل السيارة مسترسلا في كلامه مع السائق بالعربية الذي أخذ يهز جسده إلى أعلى ويرفع كتفيه عديم الحيلة ثم توجه بكلامه إليَّ فجأة ليقول:

"Excuse me"

أقول لنفسي:

"يمكنه أن يوفر اعتذاره الغبي لنفسه، إنه ضايقني فعلا"

لكنه يكرر كلامه:

"Excuse me welcome to Egypt"

أحدث نفسي:

"يا سلام لقد أصبح فجأة لطيفا"

أقول له:

opeikandi.com

"أشكرك"

ينهي سليم حديثه مع السائق ويغلق باب التاكسي الذي ينطلق في الحال إلى الأمام بصوت عال.

ألتفت إلى سليم وأقول له:

"أشكرك، أنت بالفعل أنقذتني، لقد صمم فجأة على الحصول على نقود أكثر مما اتفقنا عليه"

يهز سليم رأسه ويقول:

"لا شكر على واجب يا كيارا، من حسن الحظ أنني كنت هنا بالصدفة، حيث قدمتُ في الحال من عند أخيك، للأسف بعض سائقي التاكسي لهم سلوك غريب مع الأجانب وينسون أحيانا أنهم ضيوف عندنا ويحاولون استغلال السياح لظنهم أن لديهم أموالاً طائلة، ورغم ذلك فأنت لست سائحة في مصر، بل إنك تعيشين هنا في القاهرة"

أقول له:

"هذا صحيح ولكنني مازلت أشعر بنوع من الغربة الشديدة"

أتعجب من مستوى الصراحة التي تحدثتُ بها مع سليم رغم أنني لا أعرفه جيدا حتى الآن، يقول سليم:

"هذه الغربة مثل زلزال يهز حياتك كلها"

تخيفني معرفته بالأمور فأسائله:

"من أين تعرف ذلك"؟

"لقد بقيت مع والدي لمدة ثلاثة أسابيع في فرنسا، لأن والدتي كانت تصور فيلما هناك وأبي كان يزور بعض أصدقاء العمل والمحامين، كان بوسعي الذهاب معهم في كل مكان، لكنني لم أشعر طيلة حياتي كلها بالغربة مثلما شعرت بها في تلك المرة"

ينتابني شعور بالرغبة في التعلق بسليم، أخيرا وجدت شخصًا بوسعه فهمي بشكل جيد، يبتسم سليم قائلا:

"إن بيتي هو بيتكم، لقد حدثني والدي كثيرا عن أسرتك ونحن متشوقون لمعرفتكم، وأنتم مدعوون عندنا على العشاء بعد غد"

وجدت الكلمات تخرج من فمي وأبتسم قائلة:

"هذا شيء عظيم"

يقول سليم:

"أنا أيضا سعيد بذلك، لقد قال لي هانو إنك تهتمين بالسينما، ستسعد والدتي كثيرا لأنها بالتحديد تعمل مخرجة سينمائية"

شيء عظيم، دعوة على العشاء مع مخرجة سينما حقيقية، أخذ سليم يتحدث مرة أخرى عن هانو لكني لم أستمع إليه وبدا وجه يختفي من أمام عيني .....

مشهد ٣ خارجي / نهار

حي الحسين، بازار خان الخليلي:

منظر علوي وتحرك بطيء فوق الحارات وأسقف المحلات. في الخلفية يسمع صوت متداخل لكلام باللغة العربية، يعلو الصوت بالتدريج:

قطع في التصوير ثم ظهور لحارة مزدحمة، تقترب الكاميرا من الناس ثم تقترب الكاميرا من كيارا، التي ترتدي جلبابًا وتتحسس الأقمشة بينما يفتح البائع قطعة من القماش فوق كتفه، تشدها كيارا وتهز رأسها بقوة فجأة تتوقف الأصوات في الخلفية وتحدث اهتزازة قوية، تترنح نحو المحل المجاور يتبعها اهتزاز في صورة الكاميرا بالحركة البطيئة ثم يسقط حائط المحل المجاور، بعض الأحجار تسقط وتتطاير الأتربة في الهواء. وتتبادل صورة الكاميرا ما بين البائع وكيارا التي اتسعت عيناها فزعا أثناء النظر. تنقطع الحركة البطيئة وتعود سرعة الكاميرا والأصوات المسموعة إلى طبيعتها. يقول البائع في اضطراب متحدثا مع كيارا:

"احترسي"

كيارا:

"نعم"

البائع رافعا يده إلى السماء:

"لا حول ولا قوة إلا بالله، لا اله إلا الله"

يأتي صراخ من كل مكان ويبدأ الباعة والسائحون في الهرب من المكان والجري في فزع متزاحمين، تبقي كيارا من أثر الصدمة في مكانها ثم تخرج كاميرا الفيديو، ترتعش الصورة ثم يسقط بيت آخر أمامها، تبدأ في التصوير، ترتفع سحابة من الدخان إلى أعلى وتتهاوى بعض المحلات وتساقط فوق بعضها البعض مثل البنايات الورقية، وتتبع تيار الفارين وتصور لقطات قريبة من أوجه الناس، سقوط طفل على الأرض والتقاط رجل اعتلى رأسه التراب للطفل، ليحمله خارج منطقة الخطر، وتقترب الصورة أكثر من تاجر يرتدى جلبابًا، انقطاع الصورة.

تغير المكان، تحول إلى حي الدقي بالقاهرة.

في أحد مكاتب الإنتاج السينمائي:
على مسافة غير بعيدة تعطي كيارا فيلما لمدير الإنتاج الذي اعتلى وجه المحل في صورة الكاميرا التي أظهرته بشكل كبير، ويلاحظ تشابه الوجه مع وجه سليم.
يرخي مدير الإنتاج الستائر ويطفئ الأنوار لتظهر صور الفيلم عن الزلزال الذي صوَّرَتْه كيارا. عرض سريع ثم يضيء مدير الإنتاج الأنوار مرة أخرى ويظهر وجهه الممتلئ بصدمة المفاجأة، يطلب من كيارا أن تجلس، ثم تحضر السكرتيرة الشاي، يقول مدير التصوير:
"هل لم يكن لديك فعلا خبرة في التصوير والإخراج من قبل!"
كيارا:
"لا"
مدير الإنتاج:
"شيء عجيب، شيء غريب فعلا"
كيارا:
"ماذا تقصد"
مدير الإنتاج:
"الفيلم رائع جدا، عبقري، إنه يسجل كل ما حدث في الكارثة، وأيضا إنسانية وعواطف الضحايا بين بعضهم البعض"
كيارا:
"إن ما أسمعه الآن يسعدني كثيرا"
مدير الإنتاج:
"لابد أن أحصل على هذا الفيلم، ألا ترغبين في بيعه"
"نعم بشرط أن أقوم بعمل أفلام أخرى"
مدير الإنتاج:
"موافق ولكن بشرط، لابد أن تسافري إلى أقارب الضحايا في ألمانيا، هل هناك مشكلة في ذلك؟"
كيارا تهز رأسها بالنفي وتقول:
"ليس هناك أي مشكلات في ذلك على الإطلاق، متى يمكنني أن أبدأ؟"
سليم يوجه الكلام إلى كيارا:
"كيارا هل تسمعين ما أقول"
انتبهت له وأسرعت قائلة:

obeikandi.com

"معذرة لقد كنت أفكر في شيء آخر"
يرد سليم:
"نعم أنا أيضا لا أرغب في أخذ الكثير من وقتك، كما أننا سنرى بعضنا يوم الأحد على كل حال"
كيارا:
"نعم يوم الأحد"
يلتفت سليم للرحيل لكني أقول له:
"لقد نسيت شيئا هاما لكن أرجوك لا تقول لهانو أو لوالدي أنني لا أشعر هنا بالراحة وأنت تعرف ....."
يعض سليم شفتيه وهو يقول:
"لا عليك، السر في بير"
أشاهد نفسي ببطء في المرآة، ارتديت ردائي المفضل، الجيب الفضفاضة المشغولة بالورد وفجأة أشعر أنه لم يعد يعجبني، أشعر وكأنه فستان للأطفال أو أنني أبدو فيه وكأنني في الثانية عشرة من عمري وأتفحص ملابسي من مشجب لآخر، البذلة السوداء تضفي عليَّ هيئة مشدودة والفستان الستان الناعم شديد الأناقة، والجينز ضيق جدا حتى أنني سأعرق فيه طوال الوقت، أما السروال الكارجو الذي اشتريته مع "دورو" قبل سفري بمدة قصيرة فإنه سيذكرني طوال الوقت "بدورو".
ماذا إذن عن الفستان المشغول بالورود، حينما ارتديته ثانية بدأ يعجبني، إذن فهو الفستان، على الأقل لأنني أشعر فيه بالراحة، وهذا هو أهم الأمور، بدأت يدي ترتعش أثناء إغلاقي السوستة، أصبح اضطرابي واضحا وأخذت أفكر في رأي أم سليم فيَّ.
أنظر إلى ساعتي، إنها الثامنة وميعادنا مع أهل سليم في الساعة الثامنة والنصف، أهبط السلالم سريعا لكني لا أجد أحدًا هناك.
"يا بابا، يا هانو، لابد أن نذهب الآن"
ردت أمي من مكتبها:
"حالا"
أفتح الباب بقوة قائلة:
"ماذا تفعلين هنا حتى الآن"
تنظر أمي نحوي من فوق دفتر رسوماتها وتقول:

"أبحث عن إحدي الرسومات لأهديها لعائلة رشوان، ما رأيك: أيهما أفضل لوحة النخلة في حديقتنا أم لوحة هرم خفرع"

تتنهد أمي وهي تنظر للوحة الهرم قائلة:

"كنت أعرف أنني سأتخوف من فراقها"

"إذن فلتأخذي لوحة النخلة، ولكن أرجوك قرري شيئا، إننا تأخرنا"

أخذت أمي تقلب في الرسومات، فانتهزت تلك الفرصة لأذهب إلى غرفة أبي، أجده جالسا في هدوء تام عند جهاز الكمبيوتر بجانبه كومة من المجلات والأوراق:

"هيا يا بابا، لابد أن نرحل الآن"

يرد قائلا:

"حالا"

استغرقت هذه الأشياء وقتا طويلا حتى ينهض أبي من مكانه وحتى يغلق "هانو" الموسيقى ويجد جواربه، وبعد كل هذا جلسنا أخيرا داخل السيارة التي كانت تقودها أمي:

"هل معك الورقة المرسوم عليها الطريق إلى بيت عائلة "رشوان"؟

"وهل أنا في حاجة إليها، أعرف الطريق منذ المرة السابقة، يجب عليك فقط أن تتجهي للسير في اتجاه الدقي ثم نرى بعد ذلك"

تتنهد أمي غضبا:

"سنرى فعلا ما إذا كنا سنصل إلى هناك، شيء عجيب، لا أعرف كيف أصبحت طبيعتك فوضوية هكذا"

يقول أبي:

"وهل لديك مانع"

"طبعا لديَّ مانع للاعتراض على كل هذا"

صوته يرتفع بالتدريج:

"وأنا عندي ما يجعلني أعترض عليك كليا"

لم أصدق نفسي، فهذا لم يكن الوقت المناسب للخلافات، كما أنه لا ينبغي عليهم عدوانا بمزاجهم السيئ، خصوصا اليوم، هذا اليوم الذي فرحت فيه حقا منذ أن أتينا إلى القاهرة، نظرت إلى "هانو" في ضيق، لكنه لم ينظر إليَّ، بل تصلب نظره فوق الموبايل وأخذ يكتب رسالة. أمي تعبث بأصابعها فوق الموقد وتقول:

"وبم تعترض عليَّ كليا"

يقول الأب:

"إنك لا تهتمين بشيء آخر غير اللوحات ومقابلة أصدقائك الألمانيات، ألا تستطيعين فعل شيء آخر؟ تكلمي مع الناس هنا، تعرفي على المصريين، وإلا فلن يمكنك الوصول إلى الناس والمجتمع هنا بشكل حقيقي"

أمي تتنفس في ضيق وترد قائلة:

"اسكت، أنت لا تعرف شيئا عن هؤلاء الهوانم المتجملات في النادي، أما عن المصريين فيبدو أنك نسيت أنني أعمل طوال اليوم في المدرسة مع المصريين، سواء كانوا تلاميذ أو مدرسين"

عندئذ سألها أبي:

"وهل بنيت مع أحدهم علاقة شخصية من قبل؟"

قالت أمي:

"هل أنا في تحقيق أم ماذا؟ ما الذي يجعلك فجأة تحوم حول معرفة الأشخاص الذين أخرج معهم، خصوصا وأنت غائب طوال الوقت، غير موجود من الأصل، مشغول في معرفة المصريين العظماء، حتى أنه لم يعد ممكنا أن نخرج معا ولو لمرة واحدة"

يتنهد الأب قائلا:

"بإمكانك أن تأتي معي في أي وقت"

أمي في انفعال:

"طبعا يمكنك أن تأتي، كلامك يبدو وكأنك تريد أن تقول، يمكنك أن تغربي عن وجهي وترحميني"

فجأة يدخل الاثنان في صمت تام يتطور إلى مناخ رائع يتبادل فيه الاثنان عند عائلة رشوان نظرات غضب قاتلة أثناء جلوسهما عند المائدة، وبهذا يتسمم مزاج الآخرين طول المساء، وبالفعل كانت أمي على حق، فقد نسى أبي الطريق واستمر البحث أكثر من ربع ساعة داخل منطقة الدقي حتى وجدنا الشارع بالصدفة بعد الميعاد بساعة كاملة، أراهن أن عائلة رشوان قد أصبحت الآن في قمة الغضب. كانت شقتهم في إحدى البنايات المتميزة. ركبنا المصعد متجهين إلى الطابق الثالث، وفتحت الباب لنا سيدة لها جاذبية، ترتدي جينز أسود اللون وتيشيرت أبيض وتضع مكياجًا رقيقا، كانت بعض خصلات شعرها البني مصبوغة باللون الأشقر، قالت لنا:

"لقد جئتم في الميعاد تماما"

هل هي جادة فيما قالت أم أنها تمزح!

ظهر زوجها السيد رشوان من خلفها وصاح قائلا:
"مساء الخير، مساء الفل، تفضلوا"
بدأ هانو يبتسم بافتعال، الآن فقط عرفت كيف تعلم سليم طريقة كلامه الوردية، يخرج سليم من أحد الغرف، كان يرتدي قميصا مخططا وسروالا أنيقا أسود اللون، تماما مثل والده، لكن بدون كرافتة، يقول مبتسما:
"أهلا يا كيارا"
أشعر بنبض قوي يحرك صدري، أبي يخلع حذاءه ويعطينا إشارة لفعل نفس الشيء، تقودنا والدة سليم إلى حجرة الصالون الممتلئ بالتحف والكراسي القديمة المتراصة أمام بعضهم البعض. عند الحوائط جلس ولد صغير وشابة فوق كنبة حمراء اللون، مع دخولنا ينهض الاثنان في الحال ويسلمان علينا، يقول سليم:
"هذه هي أختي الكبيرة "منى" وأخي الصغير "طارق"
منى تشبه سليم بشدة حتى في خصلات الشعر التي كانت أطول من خصلاته وجمعتها معًا، يخرج صوت طارق بطريقة طفولية:
"السلام عليكم"
يرد أبي:
"وعليكم السلام"
يجري طارق نحوه ويلف ذراعيه حول ساقه فيضحك أبي بصوت عال وتتبعه في ذلك عائلة سليم، فقط أمي لا تستطيع أن تنفصل وتتحول عن مزاجها المكدر بسهولة ثم تتنحنح بصوت منخفض وتقول:
"لقد أحضرت معي لوحة"
أم سليم تشكرها كثيرا وتأخذ الصندوق الصغير دون أن تفتحه، أراقب انهيار أمي الداخلي، لماذا لم تقل إنها من صنعها، أراهن أنها أعطتها صورة الهرم وأنها الآن ندمت على ما فعلته، والد سليم يقول لي:
"تفضلي بالجلوس"
أجلس مكاني وأنظر حولي في خلسة، أشاهد كما هائلا من إطارات اللوحات فوق الخزانة، كلها صور عائلية وصور لزفاف والدي سليم والعديد من صور مختلفة لأطفال صغار، تري أيهم سليم.
تأتي الخادمة بصينية عليها عصائر طبيعية، ينطلق طارق نحوها حاملا أحد الأكواب ثم يتسلق مرة أخرى ساق أبي وكأنه يعرفه منذ وقت بعيد، كيف

يستطيع أبي أن يصل إلى هذا القرب دائما، على العكس منه جلست أمي على الكنبة متصلبة بشدة، يقول والد سليم:

"أخيرا يمكننا التعرف على عائلة هانو"

يسترسل مرة أخرى:

"لقد عرفت أن كلاً من هانو وسليم يعزفان الموسيقي في فريق مشترك، متى سيقدمون أول حفلة"

يحرك هانو يده بشدة إشارة على الاستنكار:

أعتقد أن ذلك سيأخذ وقتا طويلا، لأنه لابد أولا أن نتفق على الأسلوب الموسيقي"

تعلق منى بنوع من الاستخفاف:

"ستعزفون موسيقي كلاسيكية أم البوب الأميركي أم البوب العربي"

يرد سليم:

"في رأيي، الأفضل القيام بعمل خليط من كل هذا، وبهذا يمكنني أيضا أن أخلط في العزف ما بين الكمان والجيتار"

تقول والدة سليم:

"إن سليم يأخذ دروسًا في عزف الكمان عند أحد الأستاذة العاملين في الأوبرا، وبالتأكيد سيسقط مغشيا عليه حينما يسمع شيئا عن الفريق الموسيقي"

تنظر إلى سليم مبتسمة، يبدو أن مسألة الأسلوب الموسيقي سيان عندها، كل ما يهمها حقا هو سعادة ابنها بالعزف:

"نعم الكمان، يمكن أن أتخيل تمامًا كيف سيبدو سليم رائعا وهو يضع الكمان أسفل ذقنه"

تقول أمي:

"إنك تتحدثين الألمانية بطلاقة، هل أقمت مدة طويلة بالخارج؟"

ترد أم سليم:

"نعم لقد قمت كمخرجة بزيارات كثيرة إلى الخارج وصورت أحد الأفلام مرة في ألمانيا، لكن هذا ليس فقط السبب الوحيد لتحدثي الألمانية، فأخي متزوج من امرأة ألمانية ويعيش في مدينة شتوتجارت وأنا أزورهما بشكل مستمر"

يعلق والد سليم:

"أما أنا فوالدتي ألمانية الأصل، كما تلاحظون فنحن أسرة مخلطة تماما مثل فريق الموسيقي الشاب"

يضحك الجميع وتدخل الخادمة وتطلب منا التوجه إلى حجرة الطعام التي تتوسطها مائدة منخفضة وضعت حولها العديد من وسائد الجلوس الشرقية، المائدة كانت محملة بأطباق وصحون صغيرة ممتلئة بسلطة الزبادي وأنواع أخرى من المشهيات والأوملیت وشرائح الكوسة المحمرة بالإضافة إلى أوراق العنب الشهيرة والعديد من الأطباق الشهية الأخرى، شعرت باللعاب يسيل في فمي. إن جلوس القرفصاء بغية تناول الطعام هو شيء غير معتاد، ولكن بعد فترة وجيزة يصبح شيئا عاديا، أصبحت لا أرى قلبا وقالبا غير الطعام الشهي، وعندما يفرغ الطبق من وقت لآخر كانت أم سليم تسرع بملئه مرة أخرى، مع وصول الوجبة الرئيسية: صدور الدجاج مع الجزر والأرز، كنت قد أصبحت ممتلئة تماما بحيث لا يمكنني إزاحة قطعة طعام واحدة داخل معدتي.

و مع مجيء الشاي بدأت عائلة رشوان مرة أخرى في الكلام.

بدأت والدة سليم بشرح وصفات تحضير المقبلات، وأخذ سليم ووالده يستعرضان المباراة السابقة بين فريقي القمة لكرة القدم في القاهرة، ثم أخذ السيد رشوان يحكي بعض نوادر عمله كصاحب مكتب محاماة، وقالت منى:

"كم كنت أتمني أن تكون دراستي للقانون أيضا ظريفة"

أسألها:

"كم أمامك من الوقت للانتهاء من الدراسة"؟

ترد منى:

"لقد بدأت منذ فترة قصيرة، لكن لدي الشعور والرغبة في الانتهاء في أسرع وقت ممكن، لدينا كمٌ هائل من المواد التي يجب تعلمها عن ظهر قلب"

يبتسم والدها معلقا:

"إن شيئًا كهذا يساعد على عدم كسل المخ"

يسأل هانو منى:

"هل تعرفين ما ترغبين عمله بعد الانتهاء من الدراسة، هل ترغبين في العمل أم تفضلين الزواج والبقاء في المنزل"

ينظر أبي إلى هانو بنظرة عتاب، وتضحك منى قائلة:

"يا سلام، أبي وأمي لا يفعلان شيئا غير البحث لي عن الزوج المناسب الذي سيمنعني بعد الزواج من الخروج من عتبة المنزل حتى أنجب طفلا وراء الآخر ويزداد وزني وأستدير تماما"

هانو يضحك:

"معذرة لم أقصد ذلك"

"أولادنا يجب عليهم تجريب الحياة العملية واختيار العمل الذي يعجبهم حتى يعتمدوا على أنفسهم، ورغم ذلك فأنا في غاية الراحة لعدم اختيار منى العمل في مجال السينما، فكم هو صعب على النساء العمل في هذا المجال"

سألتها:

"كم عدد مخرجات السينما المصريات؟"

"على الأقل ثلاث مخرجات"

قلت متعجبة:

"شيء لا يصدق"

شرحت لي والدة سليم مسترسلة في الحديث:

"نعم مجال العمل في الإخراج السينمائي يحتل فيه الرجال المكانة الرئيسية أما في مجال العمل في الإنتاج فالوضع أسوأ بكثير، فأنا المنتجة الوحيدة في هذا المجال"

سألتها:

"وهل لديك شركة خاصة للإنتاج السينمائي"

هزت رأسها قائلة:

"نعم والشركة موجودة هنا في المنزل هل ترغبين في التعرف عليها"

"نعم طبعا"

أحضرت مفتاحا وقالت:

"نستأذنكم لحظات وسنعود مرة أخرى"

ينظر سليم نظرة خاطفة في عينيَّ ويقول:

"هذا ما أتمناه أن تعودا سريعا"

بدأت يدي المستندة على مقبض الباب في الارتعاش ولم تغب هذه الرعشة إلا حينما هبطنا إلى أسفل على السلالم المؤدية للمكتب.

والدة سليم تقودني إلى مكان يشبه عالمًا آخر مقارنة بباقي غرف الشقة، حيث جهز وفرش بطراز غير شرقي على عكس الشقة، وبدا وكأنه مكتب في ألمانيا، الطاولات كانت مصنوعة من الجرانيت الأسود البارد والفوتيهات كانت مكسوَّة بجلد بني اللون فوق الأرضية الوثيرة ذات اللون الرمادي والتي زخرفت بمثلثات حمراء.

وسألت والدة سليم:

"هل يعجبك المكان"

"نعم إنه جميل جدا، كم عدد الموظفين هنا"

obeikandl.com

تهز والدة سليم رأسها وتقول:
"فقط خمسة أشخاص، لكن عددهم يرتفع طبعا أثناء فترات التصوير"
"هل تعملون الآن بتصوير فيلم"
"نعم هو فيلم للشباب عن فتاة تحمل طفلا قبل زواجها، الشيء الذي مازال يعد مهينا هنا"
سألتها:
"وماذا يحدث للفتاة في الفيلم"
تنظر بوجه جاد وتقول:
"يتم لفظها من مجتمعها وتتحطم نفسيا، وتصبح في النهاية غير قادرة على الحب"
أري فجأة في والدة سليم مخرجة متحررة تناضل بين عالم من الرجال ضد كل المحرم والممنوع.
سألتها:
"بالتأكيد أن إخراج فليم مثل هذا يتطلب شجاعة وجسارة شديدة"
"يمكن أن أقول بصراحة لديَّ معارضون يرغبون بالطبع منع هذا الفيلم، لكنهم لم ينجحوا في ذلك حتى الآن"
تبتسم مرة أخرى وتلمع عيناها فخرا وحبا، يا لها من امرأة عظيمة!

obeikandl.com

الفصل السابع

يقول معلم الرياضيات الأستاذ "زنفت":

"وزعوا أوراق امتحان الرياضيات لو سمحتم"

أصبحت المدرسة تتملك كل وقتي، وآخر أسبوعين كانا في غاية الصعوبة، حصلنا على عدد لا يحصى من الواجبات المدرسية وكانا علينا في هذا الأسبوع أداء امتحانين. أذاكر كل يوم بجنون، وعندي شعور بأن جمجمتي ستنفجر عن قريب. يسترسل أستاذ "زنفت":

"فلتكملي توزيع الورق يا كيارا"

ناولت الورق بدفعة سريعة إلى الوراء.

يقول يوسف:

"صباح الخير، يا لها من خطوط سوداء جميلة تحت عينيك، هل هي خطوط حقيقية"

يضحك كل من رامي ودينا، أعض فوق شفتي من الخجل. لقد اعتدت على سخرية رامي ويوسف وأفعالهما هذه، لكن اشتراك دينا معهما كان جديدًا عليَّ، لكن غدا لناظره قريب، وسيعرفون كيف ينتهي ضحكهم.

أتشبث بقلمي الحبر وأنحني فوق امتحان الرياضيات، هناك ثلاث مسائل لا أعلم عنها شيئا والرابعة مجرد معرفة سطحية.

مريم تجلس بجواري على المقعد وتحل الامتحان بنشاط وحيوية وسرعة فائقة، فهي بلا شك جيدة في مادة الرياضيات، على العكس مني تماما. وهذا هو شيء عادي بين كل أفراد عائلتي. أعض في قلمي الحبر وأحملق في التمرين الأول. يمر السيد زنفت بجواري، يتمشى بين الصفوف، تريح مريم فجأة جزءًا من ورقتها ناحيتي. لكنني لا أستطيع نقل أي شيء من الارتباك والذهول.

"اكتبي بسرعة!"

همست لي مريم. كتبت حل المسألتين الأوليين بسرعة. عادت خطوات السيد زنفت مرة أخرى بالقرب مني. أخذت مريم ورقتها ووضعت يدها عليها، تراجعت بعيدا عنها. الحمد الله لقد مر السيد زنفت بعيدًا عنا دون أن

يلاحظ شيئا. عندما رن جرس الفسحة، كنت قد أنجزت بفضل مساعدة مريم حوالي نصف الأسئلة. وقد كان السيد زنفت قد ابتعد جهة باب الفصل. أشكر مريم علي مساعدتها لي. تبتسم قائلة:

"عفوًا. على العموم سوف تقومين أنت بمساعدتي في المرة القادمة، اتفقنا"

"اتفقنا!"

يبدو أن مريم ألطف كثيرًا مما كنت أظن.

كانت الرياح قوية في فناء المدرسة، كنت مرتدية تيشيرت خفيفًا. أقرر الدخول إلى المكتبة بسبب برودة الجو لأنني على كل حال رغبت في استعارة كتب فانتهزت الفرصة الآن؟ سكون تام في المكتبة، لا يحدث فيها شيء أتحرك بين الكتب ببطء شديد وأختار الكتب وأحملها بين ذراعي، يشفق شاب في آخر المكتبة عليَّ، لقد كان سليم، ينبض قلبي بسرعة. يلتفت إليَّ في نفس لحظة التي أراه فيها.

"أهلا، كيارا جميل أن أراك"

لم أقل شيئا سوى "أهلاً"

يلقي نظرة على الكتاب الذي بيدي ويقول

"إنه عائلة بودنبروكس لتوماس مان، كتاب رائع، يعجبني كثيرا".

لا يخطر ببالي شيء وأقول بكل غباء:

"فعلا"

يسترسل سليم:

"أحيانا يذكرني أسلوب توماس مان بأسلوب نجيب محفوظ، أسلوب رائع وجميل في حكي ووصف التفاصيل الخاصة بحياة عائلة ما"

أقول له:

"محفوظ حصل أيضا على جائزة نوبل في الآداب"

"تماما، هل قرأت له شيئًا؟"

"ليس بعد، وقد أعطاني والدى ثلاثيته عن القاهرة منذ بعض سنوات، ولكن حجم الروايات الكبير أفزعني ولم أقرأ أكثر من بعض صفحات قليلة"

"طبعا إن الثلاثية تتطلب وقتا طويلاً في القراءة، له راوية صغيرة بعنوان "زقاق المدق" يمكنك أن تبدئي بها"

"شكرا على هذه النصيحة"

ظننت أنه سينصرف لكنه يبقى في مكانه ويبتسم فأقول له:

"ماذا حدث"

"عندي فكرة رائعة، هل ترغبين في معرفة قاهرة محفوظ التي كتب عنها في كتبه؟"

"وهل هي موجودة حتى الآن؟"

"الحي الإسلامي مازال يحتفظ بمعالمه القديمة، ما رأيك أن نذهب معا إلى هناك بعد ظهر اليوم؟"

أراجع جدول الحصص في لمح البصر:

"سوف ينتهي اليوم الدراسي في الساعة الواحدة والربع"

يقول سليم:

"يمكننا أن نلتقي الساعة الثالثة والنصف أمام البوابة الرئيسية لمحطة قطار رمسيس، اتفقنا، ستجدين المكان بسهولة"

قلت بزهو ممتلئ بالسعادة:

"إنها فكرة رائعة"

"إلى اللقاء"

"إلى اللقاء"

هناك مجموعة من الشباب ينادون على سليم ومن بينهم هانو، كانوا عند باب المكتبة، الحمد الله لم يلمحوني، أتسرب عبر الممر وأختفي بين رفوف الكتب.

سوف أقضي وقتًا بعد الظهر مع سليم، أجدني فجأة أتذكر فيلم جوني دلبي وإثان هوك وتلك اللقطة في غروب الشمس في شوارع ڤيينا، كم هو شيء جميل.

في البيت آكل سندوتشًا بسرعة، الحمد الله أن الجميع سيأتون في وقت متأخر، أذهب سريعا إلى غرفتي لاختيار ما يتناسب من الملابس، أتمنى أن لا أمر بعذاب الاختيار مرة أخرى، في هذه المرة يجب أن ارتدي حذاء لينا لأننا سنمشي كثيرا، ويجب أن لا أنسى أخذ بعض الوجبات السريعة معي، أكثر ما يمكن أن يتناسب مع هذا الوضع هو البنطلون الباجي. بعد اختياري للملابس كان لديَّ بعض الوقت للذهاب وتفصح الإيميلات على الكمبيوتر. صحيح أن دورو لم تعد أقرب الأصدقاء لي ولكنها مازالت الخط الوحيد الذي يربطني بألمانيا.

عزيزتي كيارا!

لقد بدأ أول أكتوبر ومعه بشائر سقوط الثلج، كم أكره الثلوج والشتاء وكم أنت محظوظة في مصر، تستمتعين بشتاء دافئ، الكل يحسدونك على وجودك

في مدينة جميلة مثل القاهرة وعمرك مازال خمسة عشر عامًا، في أي البلاد سوف تعيشين عندما تبلغين سن العشرين؟ بالتأكيد في المكسيك أو طوكيو؟ عندي أخبار سعيدة، أخيرا تعرفت على شخص، كانت البنات ترغبن في تعرفي على شاب، خصوصا وأنني وحيدة منذ ثلاث أسابيع، هل تتذكرين الشاب عامل التذاكر في السينما؟ هذا الشخص الوسيم ذو الشعر الأشقر، بادرت بالحديث معه، هو شاب لطيف واليوم هو أول لقاء بيننا!عليَّ أن أتركك الآن لأغير ملابسى.

سلام

دورو.

أليس هذا غريبا؟ رغم بعد المسافات بيني وبين دورو، ولم نلتق، إلا أننا نقيم علاقة عاطفية في نفس الوقت. لن أخبرها بعلاقتي بسليم، فهي لن تفهم شيئا من مجرى الأمور هنا، فالقاهرة بالنسبة لهم ليست أكثر من مدينة كبيرة ممتلئة بالأعاجيب، كما أن الميعاد ليس أكثر من ميعاد عام مع سليم حتى أرى معه القاهرة، ليس أكثر وليس أقل!

عزيزتي دورو!

بالتأكيد مازلت أتذكر عامل التذاكر في السينما، أتمنى لك التوفيق! سوف يكون الموعد سعيدا بالتأكيد. اليوم سأذهب لرؤية الأحياء الإسلامية، كم أنا متشوقة لمعرفة كم من التجار والبائعين سوف يهجمون عليّ. الجو هنا أصبح أكثر برودة أيضا ودرجة الحرارة وصلت إلى ثماني عشرة درجة، كل موجات الحرارة الشديدة التي عانيت منها تجعلني أشعر بأن درجة الحرارة الآن كأنها ثماني درجات فقط!

سلام.

كيارا.

أغلق الكمبيوتر وأسمع خبط الخادمة على الباب تسأل في حذر:

"أتسمحين لي بالدخول"

أسرعت نحوها واحتضنتها فقالت:

"كيارا حبيبتي"

تُعطيني ثلاث قبل على خدى. أتمنى أن تجلب القبلات الحظ.

كم أكره هذه المنطقة، محطة رمسيس وشارع رمسيس، إن القاهرة كلها تتجمع هنا، خليط من انهمار السيارات والباصات، أحاول أن أقف في مكان

آمنٍ في مدخل المحطة حتى أنجو من صدمات المارة والسيارات من حولي. ساعة المحطة تظهر الوقت في تمام الثالثة والنصف. سوف يصل سليم بالتأكيد في أي لحظة. مرت ربع ساعة وعيني تورمت من البحث والنظر على المارة يمينا ويسارا ذهابا وإيابا، لقد أصبتُ بالإعياء بعدها بنصف ساعة. ربما يكون مضطرا أن يعبر الشارع ببطء من شدة الزحام أو حدث له مكروه، لا. لا ما هذه الأفكار السيئة أرجو أن تكون بخير يا سليم؟

"أنت تكلمين نفسك؟"

إنه سليم وقد ربت على كتفي. سمعت صوتًا عاليا. التفت شبه ضاحكة:

"أهلاً يا كيارا"

تمالكتُ نفسي، لقد كانت هي منى، سليم لم يأت وحده، لم يخبرني بأنه سوف يحضر أخته معنا. لماذا؟ أسال قائلة:

"هل تأخر المترو"

يهز رأسه بالنفي ويقول بنوع من البديهية وابتسامة لا تقاوم:

"لا، لقد صادفنا بعض الأصدقاء واضطررنا إلى شرب الشاي معهم، أرجو أن لا تغضبي مني"

قالت منى:

"إذن هيا بنا، لم أذهب إلى الحي الإسلامي منذ فترة، وفي كل مرة أنتظر أن أذهب إلى هناك مع فرصة وجود ضيف جديد حتى أرى القاهرة بعيون جديدة"

تركنا محطة المترو وذهبنا إلى الشارع الممتلئ بالباصات والميكروباصات والموتوسيكلات والناس واقفون على الباب كعناقيد العنب المعلقة، الغبار يهب فوق الأرصفة في وجهنا، يا لها من نزهة رائعة في ميدان رمسيس، نمشي مدة طويلة حتى نصل إلى شارع مرتفع تظهر منه حركة المواصلات البشعة. فجأة يتوقف كل من منى وسليم أمام بوابة قديمة وضخمة كدت أن أتجاهلها من شدة الزحام، يقول سليم:

"مرحبا بك في مصر الإسلامية القديمة، سنأخذ جولة بين أكبر بوابتين للحي، أو ما بين القصرين، هذا هو أيضا اسم رواية لنجيب محفوظ، هذا هو باب الفتوح"

كدت أن أخرج الكاميرا لأقوم بالتصوير، لكن سليم منعني قائلا:

"ستستمتعين أكثر بدون الكاميرا"

وضعت الكاميرا في غضب في حقيبتي وبعدها بخمس ثوان نسيت الأمر تماما. مدينة أخرى وحياة ثانية بعيدًا عن الضوضاء والسيارات، اختلاف في شكل المحلات في هذه الحارات الضيقة التي وراء هذه البوابة الضخمة. يوجد جامع في آخر الشارع الضيق تلمع مئذنته بداية شمس الغروب كأنها زينة شجرة أعياد الميلاد، تقول منى:

"هذا هو جامع الحاكم ويسمى أيضا جامع الأنوار"

لم يخطر ببالي اسم أجمل من الأنوار يمكنني أن أطلقه عليه، ينادي سليم:

"تعالى"

قمنا بخلع الأحذية قبل دخول المسجد. أخذ رجل كبير في السن مُرتدٍ جلبابًا الأحذية منا، ثم وضعها في رفوف خشبية بعدما أعطاه سليم قليلاً من المال.

يظهر أمامنا فناء داخلي فسيح ناصع البياض به نافورة في المنتصف ويحيط بالفناء من جوانبه صفوف أعمدة الصلاة. يبدو المكان لي وكأنه واحة بعيدة عن الضوضاء والتلوث والغبار. مررنا بهدوء إلى بين الباكيات والأعمدة، في ساحة الصلاة وضعت سجاجيد، بعض الرجال كانوا يصلون قياما وقعودا، وآخرون جلسوا في حالة من الاسترخاء، كم هو مكان ملىء بالسلام هنا!

يسأل سليم:

"إن أجمل ما في الإسلام أن كل الناس سواسية أمام الله سبحانه وتعالي، لا يوجد فرق بين الفقير والغني، ليس هناك فرق بين الجامعي والرجل البسيط، الكل يصلي بجانب بعضهما البعض، وكل يمكنه أن يقوم بإمامة الصلاة"

"هذا شيء رائع، هل تصلون فعلا خمس مرات في اليوم"

تهز منى رأسها:

"إنني اتبع المثل المصري القديم لأجدادنا الفراعنة، ساعة لقلبك وساعة لربك، رغم أنه في بعض الأحيان ينقضي الوقت ما بين ساعة لربك وساعتين لقلبك"

قال سليم:

"لكنني أجتهد في أداء الصلاة خمس مرات في اليوم، فإذا كنت أسير في الشارع وأقام المؤذن الصلاة أدخل الجامع لأداء صلاة الجماعة لأنها أفضل من صلاة الفرد"

وجه سليم يزداد نورا عندما يتحدث عن الإسلام والصلاة، وكذلك لاحظت في المدرسة أن إيمان الأولاد مثله من إيمان الكبار، فهم يذهبون أثناء فترة

الفسحة إلى المسجد لأداء الصلاة طوعا، على العكس تماما من الكنائس في ألمانيا، فهي خالية من المصلين اللهم إلا بعض العجائز المصلين المتعلقين ببعضهم البعض، تقترح منى:

"فلنصعد إلى المئذنة"

ينادي سليم على الولد ويعطيه البقشيش كي نصعد إلى المئذنة، صدمت قليلا عندما اكتشفت أن المئذنة ليست مرتفعة وتطل على بعض المنازل البنية اللون المتهالكة التي افترش أسطحها بعض الأثاث القديم والأدوات المنزلية القديمة، أسأل سليم:

" ألن تبتل هذه الأشياء الموضوعة فوق الأسطح؟"

يجيبني سليم:

"إن القاهرة ليس بها أمطار، وكثير من المنازل ليس بها مخازن أو بدرومات، وبالتالي يعتبر السطح عمليًّا أكثر"

نعود مرة أخرى إلى الشارع ونمر على محلات تجارية كثيرة، وبشكل غريزي أجدني أنحني إلى الأمام وأحلق في الأرض، كي لا يتعرض لي البائعون بأفعالهم التي تضايقني. لكنني ألاحظ في ذهول أن هذا ليس ضروريا لأننا لسنا في مكان سياحي، والباعة هنا مسالمون تماما، وسكان المنطقة يتحركون بشكل طبيعي، أخيرا بمقدرتي أن أشاهد البضائع المعروضة في هدوء تام. كميات هائلة من الجلابيب والشيشة وآنيات معدنية ضخمة لطهي الفول وفرش كبيرة وممسحات كثيرة معلقة، تأخذني مني وسليم إلى بيت بفسقية داخل البازار في منطقة صناعة النحاس والذهب.

تمر عربة بحمار مليئة بالبرتقال وتسد علينا الطريق مما يؤدى إلى التفافنا حول الطريق مارين بالحمار حتى نكمل سيرنا، يذهب سليم إلى المقلة ويشتري قراطيس من المسليات، نأكلها ونتسلى بها في الطريق. قالت منى:

"أغلقي عينك وأعطيني يدك"

تصبح الضوضاء أكثر وضوحا. أسير مغمضة العينين وراء منى، أحاول تخمين المفاجأة. روائح قوية دخلت أنفي، يبدو أنها التوابل،! أخيرا استطيع فتح عيني مرة أخرى. تقول منى:

"إنه أكثر العطارين الذين أفضلهم"

وضعت أكياس وجوالات مليئة بحبوب الفلفل والشطة والزنجبيل والبهارات، كلها في أشكال وألوان مختلفة، حتى أنني لم أتعرف عليها من أول نظرة.

يقف بائعان خلف الأجولة في انتظار تلبية طلبات الزبائن، كم هو مثير! سوف أقوم بالتقاط صورة لهذا المنظر، يقول لي سليم:

"عليك أخذ موافقة الناس أولاً"

تفهمت الموقف. لم أكن أعلم بذلك، ووافق كل من البائعين والتصق الاثنان بعضهما مبتسمين لالتقاط الصورة.

"أتمنى أن تتفهمي أن الفقراء هنا، لا يرغبون في نشر أو تصوير فقرهم"

أعض فوق شفتي وأقول:

"بالطبع أتفهم الأمر"

ندخل إلى الشارع العمومي عبر مرورنا بحارات ضيقة. نقف في حارة ضيقة جدًّا يمكن إحصاء عدد البيوت فيها فوق إصبع اليد، هذا هو زقاق المدق، المكان الذي كتب عنه نجيب محفوظ، كتب عن صاحب المقهى، صاحب محل المنسوجات المغزولة، بائع الحلوى، طبيب الأسنان، إنهم بالطبع الشخصيات الذي خلقها في روايته.

أسأله:

"هل السكان هنا فخورون بذلك"

تضحك منى قائلة:

"على العكس إن محفوظ تعرض في رواياته لكثير من الموضوعات الاجتماعية المستترة والممنوعة، حتى لموضوعات مثل الدعارة أو الشذوذ"

قلت لهما:

"ربما مثلما تفعل أمكما في أفلامها"

يهز كل من منى وسليم رأسهما بالموافقة:

قالت منى:

"نعم، هذا صحيح لكن الفرق أن محفوظ هدم هذه المحرمات في وقت مبكر جدًّا لم يجرؤ فيه أحد على ذلك إطلاقا"

خرجنا مرة أخرى على المحور الرئيسي وتوجهنا بعد ذلك إلى باب زويلة، يقول سليم موضحا:

"هذه هي منطقة معروفة في القاهرة وهي مغطاة بالقماش وتسمى الخيامية حيث يتم صنع الخيام، وهي منطقتي المفضلة"

أسأل نفسي ما الذي يمكن أن يكون مثيرا في الخيام بهذه الطريقة التي تسحر سليم، لكن مع دخولنا إلى البازار يتضح الأمر لي تماما، فالخيام كلها

مصنعة يدويا وبها قماش مزركش ومزين بالورد والرسومات النباتية المتداخلة:

"ما هي الأغراض التي تستخدم فيها هذه الخيام والأقمشة؟"

ترد منى قائلة:

"في الأفراح مثلا أو تستخدم الأقمشة في كساء الوسائد"

في الوسائد! أتخيل السيدة كلير من قصة "زيارة السيدة العجوز" تشتري هنا ثلاث أو أربع قطع من هذه الأقمشة وتظهر غناها الفاحش.

أسأل:

"هل الأقمشة غالية؟"

يرد سليم عارضًا لي قائمة أسعار رخيصة جدا، أقرر بشكل عفوي شراء بعض قطع من قماش الخيام.

يسألني سليم إذا ما كنت أرغب في المساعدة للوصول إلى أسعار جيدة. بالطبع لا أرفض عرضه، سليم ومنى يعرفان البائع، حتى إنهما دخلا عنده وجلسا بعد أن قاما بتحيته بشكل حار، أخذ الثلاثة في الحديث وطلبوا لنا الشاي. لم ينظر سليم ومنى إلى الأقمشة إطلاقا، وبعد مدة يقف سليم من مكانه ويسألني عن ألوان القماش الذي أريد شراءه، فأشير إلى الأحمر والأخضر والأزرق، كانت الألوان الثلاثة متشابهة في رسوماتها النجمية.

سليم يبدأ في المساومة على الأسعار ولكنني لم أسمع أي مشادات بينهما بل على العكس كان الاثنان في منتهى اللطف في حوارهما واتفقا سريعا على السعر، أدفع في النهاية مبلغًا لا يذكر في قطع القماش الثلاث.

آخذ الكيس وأفكر في أماكن وضع هذه القطع عليَّ أثناء وقوفي أمام المرآة للعب دور السيدة كلير،

قالت منى:

"ألا تشعرون بالعطش؟ لم نجلس منذ ثلاث ساعات على أي مقهى لشرب شيء"

هل مرت فعلا ثلاث ساعات! أشعر أن الوقت مر بسرعة غريبة جدا.

يقول سليم:

"ما رأيكم لو جلسنا على مقهى قريب منا"

أشعر بالتهاب قدمي لأول مرة مع جلوسي على المقهى. تفحصت المكان بفضول، كان مليئا بالرجال فقط، وضعت أمامهم طاولات معدنية ليلعبوا عليها الدومينو وأخذوا يدخنون الشيشة. سألتني منى:

"ماذا ستشربين"
"شاي ولكن بسكر خفيف"
طلب سليم "شاي سكر خفيف"، ولمنى "شاي مظبوط" وطلب لنفسه "شاي سكر زيادة وشيشة".
جاء القهوجي ومعه شيشة كبيرة وضعها أمام سليم ومعها مبسم بلاستيك وبدأ يدخن ويغمر المكان حولنا بشبورة من الدخان لها رائحة الفانيليا. يسألني:
"هل تحبين أن تجربى"
كدت أن أرفض، ولكنني وجدت نفسي أوافق على ذلك. فكرة إخراج سليم المبسم من فمه ليعطيه لي تصيبني بدوار، أسحب نفسا على حذر، كانت الشيشة بطعم الفانيليا والفحم ودخانها قوى، بدأت في الكح والدموع سالت من عيني. يأخذ سليم مني الشيشة وهو يضحك:
"ما رأيك في رحلتنا؟"
أرد قائلة:
رائعة، لم أعلم أن القاهرة يمكنها أن تكون جميلة بهذه الطريقة"
ينظر سليم إلى منى بفخر، ثم ينظر إليَّ نظرة عميقة مركزة في عيني ويقول:
"القاهرة هي أم الدنيا، هناك حكمة تقول، من شرب من مياه نهر النيل مرة، فلابد أن يعود إليه مرة أخرى، هذا معناه أن من جاء إلى القاهرة مرة واحدة فلن تغيب المدينة أبدا عن باله. أقول لسليم:
"لقد قال أبي نفس الشيء"
يقول سليم مبتسما:
"أرأيت؟ هذه كلمات حقيقية!"

الفصل الثامن

في منتصف أكتوبر كانت الشمس قوية جدًّا، فدرجة الحرارة كانت ٣٠ مئوية، أستلقي على حافة حمام السباحة حيث إن البقاء في النادي في مثل هذا الوقت أفضل من شوارع المدينة المزعجة والمنزل الذي ما يزال ساخنًا جدًّا ولا بطاق من شدة الحرارة.

أضع السماعات على أذني، وأنظر إلى حلبة ركوب الخيل. اكتشفت حديثًا أن أمي لم تكن تحب الخيل فقط بل كانت مغرمة به. وعلى كل حال فهي تقوم برسمهم فقط، دون ركوبهم، ولكنها ترسمهم بجنون. بدأت أمي تهتم بالرسم أكثر من ذي قبل، وذلك بعد شجارها الكبير مع أبي. هناك بعض الصور الرائعة جدًّا. أرغب في استئذانها أن آخذ صورة كي أعلقها في غرفتي. صورة جميلة لتلك المرأة التي ترتدي الحجاب.

أعرف تلك السيدة، إنها تلك التي تبيع الحلوى في كشك بالمدرسة. لم أكن معتادة على رؤية النساء المحجبات ولكن رويدًا رويدًا، بدأتُ اعتاد منظر النساء بالحجاب. ولكن لا أستطيع تحمل كل هذه الضوضاء بالشوارع، المكان الوحيد الهادئ والمليء بالسكون هو الجامع.

كم أتمنى أن أقابل سليم مرة أخرى؟ لماذا لا يتصل بي؟ إننا لم نتقابل منذ أسبوعين، والحياة يعمها صمت شديد، أكان هذا هو كل شيء؟ أم أنه كان يسليني لأنني وحيدة وذلك لعدم وجود معارف وأصدقاء؟ أم كان يقوم بدور المرشد السياحي؟ لا أستطيع أن أراه إلا في الفسحة! ولكنه يقف دائما مع مجموعة كبيرة من الشباب ومعه أيضا بعض من مجموعة النادي، المشكلة أنه سوف يسيء بي الظن ويأتي بحجج واهية للرد عليَّ، هل عليَّ أن أتصل به؟ لا إن هذا تطفل زائد عن الحد؟!

تقول مريم بعد أن أتت من خلفي مغمية عينيّ:

ما هذا، هل أنت مصابة بضربة شمس؟.

أسألها:

"ماذا تفعلين هنا؟"

ترد مريم:

"نحن هنا في هذا النادي منذ حوالي عام، إنني أسكن في آخر الشارع، وأنت: هل تسكنين أيضا في المعادي؟

أجبت:

"نعم فلدينا بيت بدورين"

تجلس مريم على شاذلونج بجواري كانت ترتدي مايوهًا أسود اللون جميل الشكل جدًّا:

"إنني مدينة لك بمساعدتك لي في امتحان الرياضيات. لن أنسي لك هذا الجميل أبدًا".

"العفو، لا تذكري هذا مرة ثانية"

"على كل، كيف حالك مع المدرسة الجديدة في مصر؟ هل الدراسة هنا أكثر كثافة؟"

"كنت أعتقد أن الدراسة في ألمانيا أصعب دراسة في العالم. ولكن أنتم هنا تتعلمون كل ذلك بالإضافة إلى لغة أجنبية؟"

تهز مريم أكتافها قائلة:

"معظمنا مشترك في دروس خصوصية، إنني آخذ درسًا خصوصيًّا في الكيمياء لأنها أصعب مادة، أما بالنسبة للغة فهذا ليس صعبا، معظمنا يتحدث اللغتين معا. فأمي ألمانية ووالدي مصري".

أقول لها:

"درس خصوصي؟ لن يتبقى بعد ذلك أي وقت للراحة".

تقول مريم:

"هذا صحيح، ولكن الثانوية العامة هي أصعب سنة دراسية".

أزيح الكرسي إلى الخلف قائلة:

"ولكن هناك أشياء أهم بكثير من المدرسة!"

تضحك مريم:

"تقصدين الشباب؟"

أسألها:

"كيف تتعرفون عليهم؟".

ثم أقول لها:

"ليس من الضروري أن تقولي لي من"،

تقول مريم:

"ولم لا؟ ولكنك لا تعرفينه، إنه في الصف الثاني الثانوي واسمه نور".

قلت لها:
"بالطبع أعرف نور، كان معي بالمسرح"
ترد مريم:
"أنت محظوظة، للأسف، لا أمثل بالمسرح"
أقول لها:
"إنه ممتاز وأصبح بطل فرقتنا".
ترد مريم:
"واو! إنني لا أعرفه إلا من خلال النظرات؟ لأن الشباب في مصر لا يعرفون غير التسلية، وتشويه سمعة الفتيات!"
"إذن لمن تقولين ذلك؟ ألا يوجد هناك من تعترفين له بحبك"
تهز مريم رأسها:
"عليك أن تنسي، وإذا أحببت فتي فليس من السهل الاعتراف له بذلك، إضافة إلى أنه ليس من الضروري أن يبادلك الحب"
أقول لها:
"إنها نظرية رائعة!"
تقول مريم:
"عليك اختيار وسيط جيد بينك وبين الشباب، يجب أن يكون صديقًا جيدًا. لأنه قد يخونك ويفشي السر ولكنه مجرد احتمال"
أقول لها:
"إذن عليَّ أن أضع شنبًا"
تضحك مريم:
"فكرة رائعة"
تنظر إلى الساعة:
"علىَّ أن اذهب إلى الدرس الخصوصي، ما رأيك في زيارتي غدا في المنزل"
"بكل سرور"
تقوم مريم وتنصرف، ثم تلتفت إلي بعد بضعة أمتار وتشير بالتحية، أرد لها التحية، حقا إن مريم لطيفة جدًّا.
عدتُ أنا وأمي إلى المنزل بعد أن شعرنا أن المناخ قد اعتدل نوعًا ما، دخلت أمي غرفتها سريعا دون أن تلقي نظرة على والدي أو حتى تلقي عليه

obeikandi.com

التحية. يدخن أبي هذه الأيام بشراهة. لقد أقلع عن التدخين منذ حوالي ستة أشهر، يجلس والدي أمام الكمبيوتر ويدخن ولا يأكل شيئًا:

"ماذا تفعل يا أبي"

يجيبني بصوت مرتفع:

"أبحث عن شيء أكتب عنه في الدليل السياحي، لكنني لا أجد. شيء ملعون!"

أقول له:

"أبي صوتك عال جدا!".

"آسف لكنني متضايق، لأنني تأخرت في تقديم العمل"

ليس من الواجب أن يخرج قلقه علي، اصطدمت بهانو في المطبخ حيث كان يأخذ كوب زبادي ويُغلق الثلاجة في منتهي العنف.

أسأله:

"ماذا حدث؟ هل تصديت إحدى المصريات".

"وفري سخريتك! إن بروفة الفرقة قد تأجلت للمرّة الثانية لأن اثنين من الشباب لم يأتيا. وهذا يعني أننا لن نستطيع عمل بروفة حقيقية"

أقول له:

"نفس ما حدث في بروفة المسرح، ولكن عندنا يحضرون ولا يؤدون عملهم بجدية"

"في منتهى البساطة؟

نبقى صامتين، ثم أسأله فجأة – من حسن الحظ أنه لم يلحظ شيئًا:

ألم يحضر سليم؟

أجاب:

"بل كان موجودا، ولكنه انصرف لأنه مرتبط بموعد لدرس الكمان

أتخيله أمامي:

"سليم يعزف على الكمان"

القاهرة- المدرسة الألمانية- قاعة الاحتفالات

لقطة عامة:

قاعة العرض مليئة بالمشاهدين، الجميع ينتظر متشوقًا إلى الحفل، صوت همس بالصالة.

قطع:-

obeikandl.com

تقف كيارا بجوار المسرح، تلف جسدها بالخيام، تتلصص من ثقب بستارة المسرح، ثم تركته سريعا، بجوارها ببضع خطوات، يقف سليم مرتديًا جلبابًا أحمر اللون مطرز، حاملا كمانًا تحت ذراعيه.

سليم:- بصوت خفيف - "قلقانة؟"

كيارا:- جدًا

سليم:- ولكنك قمت بعملك وتدربت على أتم وجه، إنني أعلم بذلك.

كيارا:- عندما أكون على ثقة مثلك.

سليم:- حضن سليم كيارا ثم بصق على كتفيها ثلاث مرات" إنه تقليد خاص بالفنانين، ليجلب لهم الحظ.

كيارا:- "قامت أيضًا بفعل نفس الشيء قائلة: "أتمنى لك أيضًا حظًا سعيدًا.

لقطة عامة:-

على المسرح كشافان ينيران وسط المسرح، توجد أشجار الزينة كديكور، توجد دكة ليجلس عليها بعض الفريق في وسط المسرح. كشاف على كيارا ونور.

الفيرد: جميل أن أقابلك، هل تسمح لي بالجلوس بجوارك؟

نور(كمصور) تفضلي، يتحرك، كشاف يمين المسرح على سليم. يعزف على الكمان ويضبط أوتارها. ثم يبدأ في العزف لموسيقى عربية حزينة. حركة نحو كيارا ونور

كيارا:- احكِ لى كيف كان حالك في الحب معي وأنا في سن السابعة عشرة.

نور:- إنك دائما متسرعة وقوية.

كيارا:- وهكذا أنا أيضا الآن.

نور:- (بهمس) النص خطأ.

كيارا:- إنها تلك النصوص التي يعزفها قلبي، لا أرغب في الانشغال بك بعد اليوم.

الفيرد: إنني أرغب في إنهاء هذه العلاقة بهدوء.

نور:- (بصوت عال) كيارا، ماذا تفعلين.

بعدم اهتمام كيارا تتوجه نحو سليم. إضاءة على سليم، على وجهه علامات القلق. أوقف العزف. وقفت كيارا ملاحقة له:

كيارا:- سوف أعود إلي طنطا للانتقام، لقد وجدت الآن حلاً جديدًا فلنذهب معًا إلى القاهرة!

سليم (أخذ بكيارا) نعم الآن حالاً.
قطع
نزول الستار، مرة أخرى، وراء المسرح (الكواليس) سليم يقبل كيارا.
النهاية
لوح هانو بيديه أمام وجهي:
"يمكنني أيضًا التحدث مع الحائط"
"معذرة، ماذا قلت؟".
"ليس مهما، كل ما هنالك أن سليم يشغل بالك. بجنون".
تنبهت، إليه فجأة:
"لماذا"
قال هانو:
"لقد حكى عن رحلته معك إلى الحي الإسلامي"
"وبعدين"
قال بغضب:
"بعض الأشياء التافهة، مثل كم أنت لطيفة معه، وأنه سوف يوقعك في شباكه وهكذا، أشياء من هذا القبيل"
"ماذا".
"لقد قلت له ذلك تماما. وإنك لا تعجبين بالشباب المصريين. وقد اعتذر سريعا. أرجو ألا يكون مثله مثل المصريين الذين يتباهون لمجرد أن فتاة عبرت معه الشارع."
"لا أصدق أن سليم من هذا النوع، ربما أراد أن يفتح أي نوع من الحوار"
هز هانو كتفيه:
"لا أعتقد ولكني أنصحك بأن تحذري من أي علاقة تقيمينها مع المصريين"
"ادخر نصائحك لنفسك"
صرختُ قائلة:
"واتركني في حالي إنني لا أتدخل في حياتك!"
"إنني أتحدث معك فقط، اهدئي كل شيء على ما يرام".
ليس هناك شيء على ما يرام. إنني أكره أخي! لقد تحدى سليم وتحرش به بالتأكيد، وإلا فَلم قال مثل هذا الكلام؟ إنه ليس بفتان، إنني أعلم ذلك جيدًا. ثم إنه رتب للرحلة في لحظة مفاجئة بلا ترتيب. وما الذي يجعله ينتظر أسبوعين

إذا أراد أن يقيم معي علاقة عابرة! يا للغباء! كل ما هنالك أن هانو أهانه، نعم هو ذلك! وبالطبع غرر به وأحرجه، وبالطبع لم يرد سليم أن يقف كالأبله عديم الخبرة. على كل حال فأنت مشكور يا هانو لقد حاربت بامتياز. وهذا يعني أنه إذا كان سليم مهتمًّا بي فعلاً، فسوف يصرف النظر عني، لأنه بالطبع أصبح في موقف محرج. وبالطبع فقد قام هانو بدور الأب معي!! اتركوني في حالي! لن أسمح لأحد بأن يتدخل في حياتي! إنها حياتي الخاصة! بابا، ماما ، وهانو ودورو أيضًا، اتركوني جميعا. نعم دورو، لم يعد عندها متسع من الوقت كي تسمعني أو تكتب لي! فهي منشغلة بصديقها الجديد لا نتراسل غير مرة واحدة في الأسبوع وبشكل سطحي جدا عبر الإنترنت. تمامًا مثل ماما وبابا. نصائحهم الكاذبة دومًا.

"يجب أن نناقش مشاكلنا بعقلانية وموضوعية وبهدوء" كل هذا لا يحدث على الإطلاق. إن القاهرة أظهرت وأوضحت كل شيء بخصوص علاقتهم الناجحة! إنهم يرغبون دائما في مزيد من الانفتاح والتحرر.

من أجل ماذا؟ شتائم وزعيق في أول الأمر بعد ذلك خرسوا ولا يتكلمون مع بعضهم البعض.

قطع!

عليَّ أن أختار طريقي بنفسي، وحدي، فأنا وحيدة على كل حال. لقد خسرت كل شيء، ألمانيا، دورو، هانو، ووالدي! كم هذا مؤلم!

تقبلني مريم ثلاثًا علي خدي. شيء مؤلم لم أعْتَدْ عليه بعد. قالت:

"أهلا كيارا، تفضلي". "أتفضلين شايًا مثلجا"

"لو سمحتِ"

تذهب مريم إلى المطبخ، تحضر كوبين، وزجاجة العصير:

"ما رأيك، لو جلسنا في غرفتي؟".

أتتبع مريم، إنه بيت واسع به ممر طويل، ثم صالون كبير ثم غرفة مريم بعدها وهناك سريران آخران بغرفتها.

"إنها غرفتي أنا وأختي"

أرى على الكمودينو، بروازين أحدهما كبير به صورة لوالديها والآخر صغير لمريم وأختها لم يخطر على بالي أن أضع صورة لأسرتي، مجرد صورة قديمة مثل الشبح لهانو. عدا ذلك، فإن غرفة مريم تشبه غرفتي كثيرًا، صور فريق البوب والممثلين والنجوم والمشاهير كلها معلقة على الحائط،

كذلك أفيش كفيلم أنتاتومي مع فراكا بوتنتا، كلما تذكرتُ هذا الفيلم أصبتُ بالقشعريرة.
أسأل مريم:
"هل رأيت الفيلم حقا".
تقول:
"بالطبع، لم أَخَفْ من منظر الدماء، كما أنه كان مملاً جدًّا. ثم إنني أتمنى أن أكون طبيبة وأدرس الطب"
أنظر إليها بإعجاب:
"أنا أتمنى أن أصبح مخرجة"
"إنه عمل رائع ومثير، ولكنه صعب جدًّا بالنسبة لامرأة؟"
"إنهن لا يقبلن بسهولة في امتحانات القبول بأكاديمية الفنون ومعهد السينما، لكنه أمر يسير جدًّا في ألمانيا"
"أتنبأ لك بمستقبل كمخرجة ناجحة ومتميزة".
"وأنا أتنبأ لك بطبيبة متميزة"
تقف مريم فجأة وعلامات الحزن على وجهها:
"نعم، إذا عملت كطبيبة لفترة طويلة!"
"ولماذا لا تستطعين فعل ذلك؟"
تقول:
"أهلي، سوف يزوجونني في الغالب بعد الدراسة مباشرة".
شعرت بأن الهواء قد احترق من حوالي.
"أتقصدين زواجًا تقليديًّا؟"
ترد:
"لا أدري، لكن والدي رجل متشدد، ولا يؤمن بعمل للمرأة غير الزواج وإنجاب الأولاد، كما أنه يبحث لي عن الزوج المثالي. الذي لن يتركني أخرج من البيت كي أعمل".
أقول:
"وبالتالي لن تتركي نفسك إليهم؟"
تنظر لي مريم باستغراب:
"إنه والدي ولن أستطيع فعل شيء معه، فله الرأي فيما يناسبنا، وأنا واثقة أنه يبحث لنا دائما عن مستقبل جيد وعائلة مستقرة"
"العائلة؟ وماذا تفعل العائلة بلا وجود للحب؟"

تقول مريم:
"كل شيء، عندما يرتبط اثنان بالزواج، فهذا يعني أن هناك عائلتين قد ارتبطا، وقد يختفي الحب ولكن العائلة تبقى"
أرد:
لا أعتقد ذلك، ولكنك قلت لي بالأمس إنك تحبين نور، وهذا يعنى أنك عندما تكبرين لن تتزوجيه كحبيب؟
"بل أتمنى أن أتزوجه، ولكنني لا أعرف كيف أفاتح أبي في الموضوع، ولكن..... "
"ولكن إذا رفض والدك، فستتركينه بكل يسر"
أشارت مريم بنعم ثم قالت:
"لا تستطيعين أن تفهمي، أو أنك تتخيلين حبًّا مثل حب روميو وجولييت"
"نعم، نعم، إنني لا أرغب في أن أموت في النهاية مثل جولييت المسكينة، ولكنني أرغب في أن أحب وأتزوج بمن أحبه، أما بالنسبة لعملي فسوف أعمل وأعطى مجهودي لبناء نجاحي ولن أتخلى عنه".
أخذت مريم رشفة من كوب الشاي المثلج:
"قد تكونين محقة فأنا أتمنى أن أعمل كطبيبة، رغم أنني لم أفاتح والدي في الموضوع بشكل جدي".
"إذن حاربي من أجل مستقبلك وطموحك وأحلامك"
أشارت مريم بالموافقة:
"بالطبع، دعينا نفتح حوارًا آخر؟، ما هي أخبار مسرحك؟ وما هو الموضوع؟"
"أنني زوجة نور، هذا اسم العنوان"
"هل هو دور كبير؟".
"لا إنه مجرد ثلاثة أو أربعة مشاهد".
"ولماذا لم تكافحي من أجل أن تمثلي وتخرجي"
تحمر وجنتي:
" أقصد لا...أعني أن الموضوع قد يكون صعبًا أن أمثل وأقوم بعملي كمخرجه وأدخل بين المشاهد، أفضل أن أكون ممثلة"
تقول مريم:
"ولم لا؟ حاربي من أجل ذلك".
وافقتها وقلت لها:

"دعينا نتحدث عن موضوع آخر"
ضحكت مريم وزغدتني.

obeikandl.com

الفصل التاسع

عقدت معنا السيدة إشفيجر اجتماعًا، يناقش الأزمة التي وصلنا إليها بعد آخر بروفة مسرح رأتها في الأسبوع الماضي.

قالت:

"لا يمكن أن يستمر الوضع هكذا، إنكم تقومون بعمل بروفات منذ شهرين وليس هناك أي تقدم علي الإطلاق، والأكثر سوءًا هو وضعك أنت يا ياسمين. لأنك تقومين بدور البطولة"

قبل أن تهم ياسمين بالاحتجاج، تقاطعها السيدة إشفيجر قائلة:

"إن العام الدراسي قصير جدًا، ولدينا عمل طويل وشاق وإذا لم تبدءوا من الآن في البروفات، فسوف ألغي المسرحية وعليكم أن تقدموا بعض الاسكتشات الصغيرة فقط "

على كل حال فهي على حق، فإن هذا الإهمال واللامبالاة، والبعد التام عن الالتزام وعدم احترام المواعيد.

يفقدون المرء صوابه. ولكن المفاجأة أنها أمسكت بهم وكشفت إهمالهم.

كان الجميع مذهولاً ويتحدثون مع بعضهم البعض بقلق وعتاب.

بعضهم يقول:

"لا، لو سمحت يا سيدة إشفيجر"

"لدينا دروس كثيرة، تعطلنا عن البروفات"

"يجب أن نمثل هذه المسرحية، إننا نحبها"

"إننا نقرأ النص جيدًا"

"مواعيدنا مضبوطة".

تبتسم السيدة إشفيجر:

"رائع جدًا، ولكن العمل لن ينجح بدون انضباط، إن حماسكم يسعدني وأتمنى أن أستطيع الاعتماد عليكم".

تهلل الوجوه مرة أخرى فرحة.

تقول السيدة إشفيجر:

"ولكن هناك شرط لتكملة العمل، سوف نقسم الأدوار المسرحية إلى ثلاثة أقسام، أي أنه إذا فشل أحدكم في تأدية دور في الجزء الأول من المسرحية، فعليه أن ينتقل إلى الجزء الثاني، وآخر إنقاذ له هو الجزء الثالث من المسرحية"

تتنفس ياسمين الصعداء بعد سماعها هذا الكلام، ثم تقفز قائلة:

"لدي فكرة أخرى، يا سيدة إشفيجر"

ولكن السيدة إشفيجر هزت رأسها وقالت:

"لا يا ياسمين، إن هذا هو القرار النهائي. لديَّ خبرة أكثر منك، هذا هو أحسن حل"

تجلس ياسمين وهي في حالة غيظ شديدة. تقول السيدة إشفيجر:

"إذن أصبح الأمر واضحًا وبناء على ذلك علينا أن نختار ونتقاسم ما بين القسم الثاني والثالث، من يلعب الثالث؟".

رفع يوسف ورامي أيديهم، سمحت لهم السيدة إشفيجر بالصعود إلى المسرح، وبسبب تعثر يوسف، يحصل رامي على الدور الثاني. ويأخذ دانييل الجزء الثالث، ذلك لأنه لم يعد هناك حل آخر.

تسأل السيدة إشفيجر "وماذا عن دور كيلير؟"

تقول كاترينا "أنا أرغب في تمثيله"

تنظر السيدة إشفيجر حولها، كان الجميع مطأطئ الرأس، وحصلت كاترينا على الدور دون أن تقوم بأي اختبار. فجأة نظرت السيدة إشفيجر إليَّ وقالت:

"أنت تقومين بأداء الدور يا كيارا؟ هل ترغبين بتمثيل الدور الثاني في المسرحية؟"

كان قلبي ينبض بسرعة، ومرت المشاهد التي رأيتها مع سليم قبل ذلك.

أجبتها متوترة:

"آه طبعًا أرغب في ذلك".

قالت السيدة إشفيجر:

"إذن تفضلي على المسرح"

ولكنها مقتنعة بكاترينا! ماذا أفعل؟

أسألها "أي دور أمثل؟"

تقول السيدة إشفيجر:

"أي شيء تحبين تمثيله، أي جزء صغير"

لم يكن هناك شيء بعينه في رأسي، أتوتر قليلاً عندما تنظر إليَّ كاترينا بتهكم، ولكني أتماسك وأدرك جيدًا أي دور سوف أقوم بتمثيله، لن أترك نفسي لهذه الكاترينا الحقودة، وعليَّ أن أحصل على حقي بصورة عادية. أصعد على المسرح وأستجمع الشخصية في خيالي وأنا مغمضة العينين إلى أن تلبستني الشخصية تمامًا، ثم أفتح عيني مرة أخري وأخرج كل قدراتي.

يبدأ المشهد:

"إن الحياة تسير، ولكني لا أستطيع نسيان نفور محمد وكرهه للصحراء البيضاء. وخيانتك مع خادمة هذه الأرملة العجوز. والآن أصبحنا أنا وأنت عجائز في نهاية العمر، بعدما أرغمتني على الحياة معك كنت ترغب في فسخ العلاقة والقضاء على وقتي وعمري ولكنني أفسخ العلاقة بيننا الآن. وبكل الحق والعدل عليك أن تدفع لي اثنين مليار كتعويض عن عمري الذي أهدرته معك"

وقد غادرت المسرح وأنا في منتهى الخجل وقد احمرَّ رأسي، مع تصفيق حاد من الجميع.

قالت السيدة إشفيجر:

"إن الموهبة تفرض نفسها، سوف تلعبين الدور"

ظل كلامها يتردد إلى أن لامس الخلايا العصبية في رأسي، وحرارة مرتفعة بدأت تسير في جميع أنحاء جسدي ولكن هذه الحرارة لم تأتِني من مكيف الهواء الساخن الموجود بالمسرح.

أهمس لمريم:

"لقد حاربت، يا مريم!".

القاهرة، ٢٣ أكتوبر.

أحتاج أن أكتب في مذكراتي!!!

كنت أحتاج إلى دورو وأكتب لها عن كل الأحداث التي صادفتني في أول أيامي بالقاهرة، والآن يراسل بعضنا البعض من حين إلى آخر وقد استطعت أن أستغني عنها تمامًا.

لقد حصلت على دور في المسرحية! هذا شيء لا يصدق وليس أي دور، إنه الدور الذي كنت أحلم به منذ زمن طويل.

ولكن ما هذا إلا الجزء الثالث، ومن المحتمل أن أمثل شهادة كلايرس فقط، وهذا يعني أن النتيجة صفر، ولكن كل هذا لا يهمني، لقد اجتهدت أن أنجح وأن أحصل على دور مسرحي يثبت لكاترينا أنني جديرة ولدي مواهب، ثم إنني لم

أكن سيئة، علاوة على ذلك لم يساندني أحد من زملائي، بل كل هذا الأداء من اجتهادي. شيء مجنون، كم هو جميل!

سوف أُذاكر دوري جيدًا في المسرحية، كما لو كان واحدًا من الواجبات المدرسية الكثيرة، ومن يدري ربما تترك ياسمين المسرحية، ربما تمرض في يوم من أيام البروفة. كم أتمنى أن أمثل أمام نور، إنه الوحيد المختلف عن المصريين. ليس سطحيًّا، إن سليم مختلف عنهم أيضًا.

أن إحساسي يقول إنه مختلف، عكس ما قاله لي هانو، ربما ضايقه هانو في صورة لعبة دنيئة ضدي، لماذا لا أستطيع نسيان سليم؟

إنه الوحيد الذي يستطيع فهمي هنا، حتى مريم تفهمني، لكنها تعيش في عالمها الخاص مع نظم اجتماعية خاصة بهذا المجتمع الشرقي، الغريب عني، إنها تعيش في أسرة مازالت متمسكة بالعادات والتقاليد التي عفى عليها الزمن.

إنها تتعامل مع طرق غريبة من التدين الذي يحرم كل شيء تقريبًا. ليس مسموحًا لمريم أن تركب التاكسي وحدها لأن والدها يخاف عليها من اعتداء سائق التاكسي والتحرش بها.

هل هذا يعقل؟

أما أسرة سليم فهي مختلفة تمامًا فهم لا يعطون انطباعا بالتخلف.

إن سليم ومنى وأمهم، يحاربون ضد المجتمعات المنغلقة، إنهم يحاربون من أجل تحقيق أحلامهم وأهدافهم. إنهم أقوياء جدًّا هل يخشى أن يجلس معي وحدي؟

لديه وقت ليجلس مع هانو! أما أنا فلا؟ إنهم يتقابلون يوميًّا في بروفات الموسيقي!

لماذا لا يقابلني ويجلس معي؟

عليَّ أن أنسى سليم، وألا أنتظر منه أي أمل في إقامة علاقة معه! نعم إن الحياة هنا ليست جميلة ولا سعيدة عدا المسرح ومريم.

مازلتُ لا أشعر بالسعادة في المدرسة، رغم أن دينا ويوسف وأصدقاءهما يجتهدون باستمرار في رفع معنوياتي. صحيح أنني أبتعد عنهم كثيرًا ولكنهم لا يتركونني في حالي.

كما أن الطلبة الألمان يسببون لي العصبية بسبب تفاهاتهم، إن مايكه ترافقني كثيرًا، لا أعلم ما هو أسوأ أن تتلقى طعنة غدر من زميل ألماني!

أين أنت يا سليم. كم أفتقدك وأحتاج إليك. إنني أعيش في معاناة كأنني نجمة سينمائية، خبط الباب عند آخر جملة كتبتُها.

بعد ما دخلت أمي الغرفة سألتني:
"أتسمحين لي بالدخول؟"
أغلق مذكراتي سريعًا وأسألها:
"ماذا هناك؟"
تقول:
"كنت قد دعوت اثنين من زميلاتي على الشواء غدًا ولكنهما اعتذرتا. هل تحبين الاحتفال معي غدًا؟"
أقول لها:
"لا أعلم"
تقول:
"فكري فيّ، إن ذلك سوف يسعدني كثيرًا"
كانت الهالات السوداء تزداد تحت عينيها.
تقول أمي:
"هانو ليس لديه وقت باستمرار، وأبوك أيضًا ليس هنا للأسف"
أقول لها:
"إذن علىَّ أن أقوم بدور المُسلي، بدلاً من بابا الذي يهملك، آسفة لستُ عوضًا عن أحد.

القاهرة، ٦ نوفمبر

مازلت أتمنى عودة سليم. ولكنه لا يخطو أي خطوة. عليك أن تنسيه تمامًا يا كيارا. انسي! ولكن كيف لي أن أنساه؟ وهانو يحكي لي باستمرار عنه، حتى عندما كانت مايكه لدينا في البيت. كادت أن تخنق رقبة هانو بسبب كثرة الحوار عن سليم. ثم إن بينهما (هانو ومايكه) حب ومشاعر قوية يستمتعان بالأحضان والقبلات لدينا في البيت، من حسن الحظ أنه ممنوع في المدرسة.

إن التقبيل بين الجنسين ممنوع بل من المحرمات في الشارع المصري والمدرسة أيضًا.

تكفيني ابتسامة من سليم، لا أريد قبلات منه، إنني هواء بالنسبة له.

"لماذا؟"

القاهرة، ١٩ نوفمبر

ذهبت اليوم وحدي إلى محطة مترو أنفاق رمسيس وقمت بنفس الرحلة إلى مصر الإسلامية ولكنها لم تكن ممتعة كما كانت مع سليم ومنى ولكنني وجدت كل الأماكن بسهولة. ثم ابتعت لنفسي كيسًا من المُسليات من نفس المحل،

مكثت حوالي ساعة كاملة دون أن أستخدم الكاميرا في جامع الحاكم، وبعد فترة صمت وهدوء. فجأة علا صوت المؤذن في مكبر الصوت (الميكرفون) مع غلوشة في الصوت ولكن العجيب أن هذا النداء العالي والطويل قد أعجبني وهو يقول "الله أكبر" إنه نداء يحمل كثيرًا من الاشتياق والأمل. أحتاج أن أقرأ كثيرًا عن علم المصريات والأديان....

إن المصلين يذكرونني بسليم عندما كان يصلي هنا ساجدًا.

كم أتمنى أن أكون عاقلة مثل مريم، التي تتعامل مع نور بطريقة منظمة تحد من مشاعر الحب. إنها تذاكر دروسها مثل المجنونة. كي تحصل على أعلى الدرجات وتحصل على منحه دراسية كي تساعدها على أن يقدرها والدها وتكمل أحلامها ومستقبلها العملي.

ليس لديها أي وقت على الإطلاق. لكننا نتقابل أحيانًا في المدرسة.

سوف يقام في الأسبوع القادم مهرجان رياضي بالمدرسة. ربما أستطيع أن أرى سليم...

وأخيرًا يقام اليوم المهرجان الرياضي السنوي بالمدرسة. والذي يشارك فيه الطلبة من الصف الأول الابتدائي وحتى الصف الثالث الثانوي بالمدرسة وعلينا أن نجري ثلاث مرات حول الملعب.

عندما وصلت أنا ومريم إلى الطابور وجدنا ساحة الجري مليئة ومزدحمة بالأولاد الصغار، وبعد ما فرغوا من الجري. ظهر طلبة الصف الثالث الثانوي وهم يتراقصون حول الملعب، لم أستطع التعرف على سليم، أرجو أن أجده وأن لا يكون مريضًا.

سمعتُ صوتًا عاليًا لأصوات أعرفها إنها فرقة هانو! كان سليم ومعه الجيتار معلقًا على صدره وعليه بعض الأشرطة كانت النغمات تلمس قلبي مباشرة. ماذا أفعل إذا نظر إلي؟

خبطت مريم على كتفي

"أتحلُمين؟"

قلت

"لا. لماذا؟"

حان الآن دورنا بعد انتهاء المرحلة الابتدائية. كان نظري طوال الوقت مركزًا إلى الأرض. نادت السيدة لوتسي "مكانك. أستعد. ابدأ".

كان كل تركيزي وأنا أجري على نبضي وتنفسي، حسنًا أنا على ما يرام بدأت موسيقي عربية على إيقاع غربي.

كان الصوت عاليًا جدًّا وموترًا، وكان يوسف ودينا يغنيان مع الموسيقى بصوت عال جدًّا، ليس به نغم.

كنت أجاهد نفسي كي لا أذهب باتجاه الفرقة الموسيقية. ودون أن أشعر وجدتني أمامهم وقد انتهت الموسيقى الصاخبة. والآن يعزف سليم على الجيتار، سوف أغمض عيني وأتخيل أنه يعزف لي لوحدي. كنت أعض على شفتي ما هذا يا كيارا كفاك هراءً!

ولأننا كسبنا في الجري. عزفت لنا فرقة هانو قطعة موسيقية. (خصيصًا)

كنت ألقي نظرة جريئة لأبحث عن هانو، ولكن عيني قابلت عيني سليم. نظرت سريعًا بعيدًا. سكتت الفرقة.

قالت لي مريم:

"هل تعرفين، أعتقد أنه يرغب في الحديث معك".

قلت:

"ماذا".

وإذا بصوت قريب إلى نفسي يقول "أهلاً، كيارا"

لقد كان سليم واقفًا أمامي.

أخرجت صوتي "أهلاً".

تنحنحت مريم "سوف أحضر مشروبًا".

ثم ذهبت.

سألني سليم

"هل أعجبتك الموسيقى؟".

ابتعدتُ عن عينيه وقلت:

"لم تكن سيئة. خاصة أنني لا أحب الموسيقى العربية".

ابتسم سليم وقال

"مازال لديك زلزال؟".

لم ينس حديثنا.

قلت له:

"لا ولكن، نوعًا ما، هناك بعض التأرجح"

قال لي:

"علينا حتمًا أن نغير هذا القلق. هل لديك وقت في المساء؟"

كانت دقات قلبي قوية "نعم. لماذا؟"

قال "لديَّ دعوة للأوبرا. ووالدي مشغول"

obeikandl.com

إنها معجزة لم أكن أتوقعها. سوف أذهب ولن أترك الفرصة
سألني سليم "ألا تحبين موسيقى الأوبرا؟"
أجبته سريعًا "بلى، بلى، أي أوبرا هي؟"
قال "عايدة".
قُلت "أعتقد أنني قد سمعتها في الراديو. إنها تدور في مصر القديمة، أليس كذلك؟"
ابتسم سليم ثانيًا:
"مضبوط. إني أحب موسيقى الفردية، إن لها طابعًا رومانيًا تمامًا مثل الأوبرا، إنها تتسم أيضًا بالطابع الروماني"
لماذا نوه لي عن ذلك، هل يقصد شيئًا؟، بلى إنه يتحدث معي باحترام ووقار كأنه يشرح لي درس رياضيات.
سألته على سبيل فتح الحوار:
"أين تقع دار الأوبرا؟"
قال "بأرض الجزيرة، إنها قريبة من وسط المدينة، يمكنك أن تركبي المترو وتنزلي في محطة الأوبرا، من الأفضل أن نتقابل أمام ممر الأوبرا الساعة الثامنة إلا ربعًا، اتفقنا؟"
قلت "اتفقنا"
قال "إلى اللقاء حتى المساء."
كنت أتمنى ألا تحضر أُمه ومنى فسألته "أتمنى أن أقابل منى مرة ثانية وأُمك العزيزة".
قال: "بالتأكيد سوف يسعدهم ذلك أيضًا". ثم ذهب.
لقد هزتني هذه الإجابة. كان يجب أن أعرف ذلك. إنه لا يرغب في أن يقابلني وحدي، إنه شخص خجول. إن هانو لا يعلم كل هذه الصفات. إنه يقابلني دائمًا مع أسرته.
جاءت مريم وقالت:
"لقد أحضرت لك ماءً، ماذا بك؟، هل أنت متعبة من أثر الجري؟".
قلت "لا"
قالت "هل هناك شيء؟"
أشرت لها بيدي
"دعينا نتحدث في موضوع آخر" إنه اتفاق ضمني بيننا أن نغلق الحديث عن موضوع لا ترغب إحدانا في الكلام عنه.

قالت مريم
"كما تشائين، ولكن لديَّ حب استطلاع"
شيء عجيب أن يكون والدك صحفيًّا يملك مكتبة ضخمة، جلبها من نصف العالم. كنت أقرأ قصة أوبرا عايدة وأنا في طريقي بالمترو إلى دار الأوبرا. شعرت بقرب عايدة مني. إنها أتت إلى مصر كعبدة ثم بيعت لأحد الأمراء وقد أحبها. بالطبع هذا شيء غير مستحب.
على كل حال فأنا أيضًا جئت إلى القاهرة منساقة كالعبيد، ولكن بواسطة والدي وليس بواسطة النخاس، ليس هناك فارق كبير. لم يسألني أحد عن رأيي. وما سليم بأمير ولكنه مصري. ولكني لا أرغب في أن أدفن معه وأنا حية في قبر واحد.
قرأت اسم المحطة بصوت عال، وضعت الكتاب في حقيبتي وقفزت من المترو سريعًا في محطة الأوبرا.
كان الشارع حالك الظلمة، كان هناك نور وإضاءة برتقالية لمبنى لقبة مسطحة لابد أنها دار الأوبرا!
وصلت إلى تيار من السيدات اللواتي يرتدين أشيك الفساتين السواريه ويضعن العطور النفاذة. ما هذا؟ لِم لم أر مثل هذه السيدات في الشوارع؟. وعندما تركت هذا الجمع وصلت إلى الجاليري، وقلبي يدق سريعًا.
كان سليم واقفًا بمكان الدعوة ملوحًا لي، كان بودي أن أجري إليه ولكني سيطرت على نفسي.
نظر سليم إلى فستاني الأزرق السماوي ثم قال:
"مساء الفل يا كيارا، فستان رائع يذكرني بزهرة الياسمين."
احمرَّت وجنتاى خجلاً.
ضحكت منى:
"لقد تفوق سليم على نفسه اليوم، أهلاً كيارا"
أعطتني ثلاث قبلات حارة على خدي. رددتُ إليها القبلات وأنا أخطف نظرة إلى سليم الذي كان ينظر إليّ.
لقد التهب وجهي من الارتباك. ثم سلمت على أم سليم التي كانت ترتدي فستانًا طويلاً أنيقًا ينم على أنه فستان سهرة يُتوجه عطرها الرائع. وجمالها الأخَّاذ تحت الأضواء. قالت:
"أهلاً وسهلاً يا كيارا"
أجبتها:

"ألف شكر على الدعوة".
هزت السيدة رشوان رأسها وقالت:
"لا تقولي ذلك. إنه لشرف لنا أن ترافقينا، دعونا ندخل"
تقدمنا سليم إلى الداخل. علقت منى ذراعها في ذراعي. يبدو أنه حق معتاد يجب أن تفعله بعد ما فعلت ذلك في رحلة مصر الإسلامية. كانت تتكلم وتتكلم وأنا أهز رأسي فقط... كل تفكيري كان منصبًّا على هذه النظرة اللامعة من سليم؟. ولماذا أثنى عليّ؟
لمجرد أني لطيفة؟ أو ... أو لأنه ...
ليس لديَّ القدرة على إنهاء الجملة.
سألني سليم:
"هل تسمحين لي بأن أساعدك في خلع الجاكت؟"
كانت يداه تلمسان كتفي كأنهما حبيبات من الرمل الناعم الذي يخدر وينعش في آنٍ واحد.
قلت له "شكرًا".
لم ألحظ إلا الآن أنه يرتدي بدلة كحلية وكرفته نِبيتي "أحمر قاني". كم كان وسيمًا. ويبدو أكبر من عمره الحقيقي بسنتين على الأقل، كانت السلالم التي صعدنا عليها أنا ومنى والسيدة رشوان التي سحبتني معها، تتميز بالأنوار اللامعة وتبتلع خطواتنا، كما كان هناك رجل لطيف أخذ الدعوة وقطعها وقال بعض الكلمات باللغة العربية.
ترجمت لي منى:
"سهرة سعيدة"
في القاعة الداخلية كانت الحوائط مدهونة باللون البمبي الباعث على التوتر وستائر بمبي مُتوجة ونَجفة ضخمة على شكل زهرة مزعجة جدًّا. ورغم ذلك جميلة جدًّا.
وبينما نحن نبحث عن أماكننا كنت أتمنى أن يأتي مكاني بجوار سليم. ولكن الأحلام والمعجزات لا تتحقق بالكامل فقد كان مكاني بالطبع ما بين منى وأمهم.
أعطتني السيدة رشوان البرنامج:
"سوف تغني اليوم أحب مطربة أُوبرا إليَّ، إنها في أوائل العشرينات من العمر.
انحنى سليم إليّ وقال:

"انظري إلى الفرقة الموسيقية. هل ترين هذا الرجل ذا الشعر البني الطويل الممسك للكمان الكبيرة والمرتدي النظارة؟"

قلتُ "نعم رأيته، ماذا به"

قال "إنه مدّرس الكمان"

قلتُ "ولكن مظهره لا يدل على أنه مصري"

ابتسم سليم وقال:

"هذا صحيح، إنه بولندي الأصل، إن الأوركسترا يعتبر دوليًّا نوعًا ما".

سألته "هل مدرسك هذا لطيف؟"

رسم سليم علامة امتعاض على وجهه:

"لطيف. نعم ولكنه يعتبر أيضًا قاسيًا نوعًا ما".

لكزته منى على ركبته وقالت:

"أو لم يفعل ذلك، لما تمرنت يا أخي العزيز".

رد سليم إليها اللكزة وقال:

"ماذا تفعلين"

نهرتهم السيدة رشوان وقالت "كفاكم يا أطفال، كفانا ما لقينا من عراك اليوم".

برهة وانخفضت الإضاءات وفتحت الستارة والتزم الجمهور الصمت عدا بعض الهمسات القليلة، لم أحب ذلك ولكنني غرقت بعد ذلك في عالم عايدة ورادامس.

يا للنشوة إن الأوركسترا والكورال يعزفون صوت النيل، وتتجانس الكمان مع صوت عايدة صاعدة إلى السماء. وعندما غنت المقطوعة.

"آه، يا وطني، لن أراك مرة ثانية!"

كنت أود أن أحملها من على المسرح وأركبها الطائرة الذاهبة إلى إثيوبيا.

ورغم أني أعلم نهاية القصة، إلا أنني كنت أتمنى أن لا يموت رادامس وعايدة، ولكنهم سوف يموتون!، وكان غناء الثنائي "يا وديان الدموع والأحزان، أيتها الأرض، إن الحياة جميلة وخيرة".

لقد بدأت في البكاء بصوت عال، يا لروعة الإحساس.

ناولتني فجأة يد منديلاً، لقد كان سليم، وكان هو الآخر يبكي.

القاهرة، ٣٠ نوفمبر.

إننا بعد الظهر، يجب حتمًا أن أكتب، كان الأمس كالأحلام، تمامًا مثل جوليا روبرتس في فيلم امرأة جميلة عندما دخلت لأول مرة في حياتها دار الأوبرا.

إنني محظوظة، محظوظة، محظوظة! مازالت الألحان ترن في عقلي مع كلمات سليم الرقيقة

"أتمنى لك مساء مليئًا بالورود، يا كيارا، فستان، إنه يذكرني بزهرة الياسمين"

نعم، هل أنا جميلة!!!

ازداد إحساسي بجمالي من خلال عينيك.

لا أعلم إذا ما كنت تحبني أم لا يا سليم. ولكن ما أعلمه أنني لن أنسى هذه الأمسية الجميلة أبدًا!!

obeikandl.com

الفصل العاشر

أعض فوق القلم الجاف وأنا جالسة في غرفتي أذاكر. لم يبق سوى أسبوعين دراسيين بعدهما يأتي عيد الكريسماس، كنت في الصغر أتعجل قدوم العيد، أما اليوم فأتمنى أن يبتعد، لأنني لن أرى سليم في العيد، كما أنه لم يتصل بي منذ أسبوع ونصف. حتى في فناء المدرسة لم نتحدث إلا ببعض كلمات قليلة، إن عدم اتصاله بي سوف يُصيبني بالجنون عن قريب!

إن علاج الجنون لا يكون إلا باستخدام بعض معادلات مادة الفيزياء، وإحضار مكعبات الثلج لتهدئ من روعتي. يدق جرس الباب بمجرد فتحي لكتاب الفيزياء. من يا ترى؟.

إن أبي وأمي مع بعضهم البعض (بشكل استثنائي) في وسط المدينة وهانو لن يعود إلا متأخرًا.

أقوم متنهدة وأنزل لأفتح الباب. إنها مايكه. انزعجتُ عندما فتحتُ لها الباب، تسألني:

"هل تسمحين لي بالدخول؟ أم أنتظر بالخارج؟"

أفسح لها الطريق وأقول:

"إن هانو ليس هنا"

تهز مايكه كتفيها وتقول:

"إذن سوف ألقي بنفسي على الكنبة إلى أن يأتي. سأموت من العطش. هل لديكم كوكاكولا بالثلاجة؟"

يا للبجاحة. تريد أن أخدمها أيضًا.

أذهب إلى المطبخ وكلي غيظ وأحضر لها علبة الكولا ثم أقوم بوضعها على الطاولة.

تقول لي:

"شكرًا، لم أكن أعلم أن بداخلك كل هذه الرومانسية، هل هذا بسبب دورك المسرحي؟"

اتجه لصعود السلالم وأقول لها:

"اتركيني في حالي"

تصفر ساخرة ثم تقول:
"إذن، فإن سليم على حق"
أستدير إليها مرة أخرى وأقول:
"ماذا تقصدين؟"
تفتح مايكه علبة الكولا وتشرب منها، ثم تتأمل أظافرها المدهونة بشدة لتطمئن على جمالها دون أن تُجيبني. أسألها:
"من أين تعرفين سليم؟"
تقول مايكه:
"من فريق هانو، إنني أحضر البروفات من وقت لآخر"
أقول لها:
"آه، طبعا"
يجب أن لا تلحظ شيئا، فهي لا تعرف ماذا يعني سليم بالنسبة لي، وإلا فسوف تحكي عن الموضوع لكل المدرسة. أجلس بجانبها على الكنبة. تبتسم بوداعة وتقول:
"عليَّ أن أحسدك على اهتمام سليم بك. إنه شخص لطيف ووسيم، ولكن هانو يعجبني أكثر"
أقول لها:
"سوف أحضر لنفسي كولا"
أسرع إلى المطبخ كي أدفن رأسي داخل الثلاجة من أثر الصدمة، سليم معجب بي، أعود إليها لتكمل مايكه كلامها وتقول:
"لم تكن آخر بروفة على ما يرام، وقد وَبَّخ سليم الفرقة وحثهم على العمل بكل حواسهم وبصدق، وأنه يجب أن يتم العمل بعمق وإحساس عال وأن قليلاً جدًا من الزملاء الذين يتميزون بهذه المشاعر مثلك أنت مثلاً"
يتوقف تنفسي وتسترسل مايكه:
"كان هانو متضايقًا جدًّا، ثم وبخه وقال له، إنه يجب أن يترك أمرك ولا يدخل الأشياء ببعضها البعض، لأن الذي يهمهم هو الفريق الموسيقي"
"طبعا"
تضحك مايكه بصوت عال وتقول:
"هانو كان متضايقا بشدة، لم يلحظ خروج سليم عن طبيعته، ووجهه احمر خجلاً"
أقول بمنتهى الثقة:

"هذه هي الرِّجال"
تسألني مايكه:
"ماذا ستفعلين، أتعطين لسليم فرصة؟"
لحسن الحظ يدور مفتاح باب الشقة في القفل ويدخل هانو غرفة المعيشة وتستقبله مايكه بحرارة.
أجري على السلالم سريعًا وأغلق الباب وأسند رأسي وراءه. أخيرًا لن أعيش في حالة انزعاج وتوتر. كان أوركسترا الموسيقى بأكمله يعزف برأسي أغنية جميلة، أغنية تدعو إلى البكاء، نعم يجب أن أبكي!
هل هذا حقيقي؟
نعم حقيقي، لا أعتقد أن مايكه تستخف بي.
لقد أصبح حلمي حقيقة.
سليم يحبني!
يحبني!
يحبني!
أذهب في اليوم التالي إلى المكتبة، يجب أن أستعير بعض الكتب وأعيد الأخرى، لقد حفظتُ أماكن الكتب والأرفف، كما أن المكتبة هي المكان الوحيد الذي أستطيع أن أقابل فيه سليم وأتحدث معه.
مر أسبوع وأنا أقوم باسترجاع الكتب كل يوم، وكدت أقلع عن أمل مقابلته، فجأة أجد سليم واقفًا أمامي يقول متحدثا بابتسامة رائعة:
"كيف حالك يا كيارا ؟".
أرد:
"بخير"
لم أقل شيئا آخر:
يسحب سليم كتابًا من أعلى الرف ويتصفحه دون أن يقول شيئا. أخيرا يخطر ببالي شيء أقوله:
"سليم هل تعرف أنني قرأتُ أخيرًا ثلاثية نجيب محفوظ. رغم أن بداية القراءة لم تكن مشوقة ولكني القصص جذبتني فيما بعد وقد أحببت شخصيات العمل"
يسأل سليم:
"لقد أعجبتني أنا أيضًا. أي الشخصيات أعجبتك أكثر؟"
أقول له:

"السيد أحمد عبد الجواد، شخصية متناقضة، وهذا ما أعجبني فيه"
يهز رأسه موافقا:
"نعم، هذا صحيح، إن محفوظ اجتهد كثيرًا كي يبني شخصياته. هل تعلمين أنه لم يكن يكتب إلا في الخريف والشتاء فقط! أما في الصيف فكان يرسم شخصياته في خياله وهو يتنزه على كورنيش النيل"
أقول وقلبي يدق سريعا حتى أنني أخشى أن يسمع ذلك:
"أنني أحب التنزه أيضًا"
يفكر ثم يقول:
"ما رأيك في التنزه على كورنيش النيل. الذي يتجمع حوله الجميع؟"
يا له من سؤال! أقول:
"نعم"
يقول:
"إنه يبدو رائعًا عند شروق الشمس، هل لديك وقت غدًا؟"
أقول:
"نعم"
ينظر إليّ بدهشة. لم يتوقع أن أكون منفتحة إلى هذا الحد وأنني سوف أوافقه في الحال. بعد بضع ثوانٍ يستجمع عقله ونتفق على الموعد والمكان.
أتأمل شفتيه الممتلئتين وأستمع إليه بنصف أذن لأنني أعرف مكان الكورنيش. يحكي لي هانو عن الكورنيش وأنه ملتقى العشاق وأنه المكان الوحيد الذي يستطيعون فيه مسك أيديهم خلسة.
إن السعادة تجعلني أشعر بالنشوة، أخيرًا آخذ موعدًا حقيقيًّا مع سليم. سوف نتقابل على انفراد لأول مرة. اتفقنا على أن يكون الموعد في الثامنة صباحًا. أودعه وأتأمل مشيته المنطلقة حتى يختفي من أمامي.

(مشهد داخلي)

القاهرة الإسلامية القديمة، (سنة ١٩٢١) منزل في منطقة بين القصرين
كيارا ابنة أحد الصحفيين المشهورين في ذلك الوقت، تحضر القهوة مع أمها سالمة في المطبخ. تأتي الخادمة بعينيها اللامعتين إلى سيدتها.
الخادمة:
سيدة تدق على الباب ترغب في مقابلة سيدة المنزل.
سالمة: (بفضول)
أدخليها إلى الصالون!

كيارا: (بلهفة وتوقع)
من يا ترى؟
سالمة: (مبتسمة)
سوف نعلم حالاً. من الأفضل أن ترتدي ثيابك وتنتظري حتى أنادي عليكِ.
الكاميرا تقترب من وجه كيارا الذي أخذ في الاحمرار من شدة الخجل. وجه سالمة كان أيضا أحمر اللون.
تغير المنظر: كيارا تجلس أمام المرآة في غرفتها الخاصة بها هي وأختها مريم. كانت مريم تمشط شعر أختها البني الطويل.
كيارا:
أرجو أن تكون أم سليم.
مريم:
أتمنى لك ذلك ولكن ربما تكون أحد المتقدمين لخطبتك من أسرة أخرى. معجب يرسل أمه في طلب يديك.
كيارا: (متنهدة)
نعم، أشعر أنها أم سليم!.
يدق باب الغرفة.
تدخل الخادمة الغرفة
الخادمة:
تعالى يا كيارا، لقد آن الأوان.
قرأت كيارا الفاتحة قبل أن تذهب مع الخادمة إلى الصالون. تصوير كامل للمنظر.
امرأة نحيفة ترتدي فستانًا أزرق جالسة على الكنبة، تشير إلى كيارا بأن تقترب، تذهب إليها كيارا. تصوير مجسم عن بعد. كيارا ترتخي قليلا. تذهب إلى السيدة وتقبل يديها.
أم سليم: قد أمرنا القرآن بتزويج الأعزب.
كيارا:
كلامك مضبوط وحكمة الله فوق كل شيء.
أم سليم:
عندما طلب مني سليم عروسة، رشحتك له أنت يا كيارا. فإنك بنت حسب ونسب، وهو يعرفك ورحب باختياري لك، لأنه يشعر بارتياح وكأنك من أهله وأنه لن يجد نسبًا أحسن من ذلك، وأسرة طيبة نتشرف بها.

كيارا:
ألف حمد وشكر لك يا رب. لقد حققت لي أمنيتي.
أم سليم:
ربنا يجعل كل أيامكم جميلة، ويرزقكم بالذرية الصالحة.
سالمة:
إن سليم أكثر الشباب كرمًا. وطلبت أمُّه أن يراكِ قبل الزواج. فهو يدعوك للتنزه على شط النيل.
كيارا:
(نزلت على ركبة أم سليم)
ربنا يجزيك خيرا.
فجأة أسمع صوت مريم:
"كيارا، يا كيارا، عَمَّ تتحدثين وأي جزاء، لو تأخرنا على امتحان الرياضيات فلن نحصل إلا على العقاب"
أقول لها:
"معك حق. علينا أن نجري حتى نصل في الميعاد"
قبل شروق الشمس بقليل كان لون النيل رماديًّا كأنه كائن يتمطع ويتقلب في مكان نومه. وكأن المباني الشاهقة على حوافه تحرسه أثناء نومه.
وقفت على كوبري قصر النيل المتجه نحو منطقة الجزيرة. وتركت صخب السيارات خلفي والتي لا تنتهي في القاهرة أبدا سواء بالليل أو بالنهار. أستدير للخلف مع سماعي صوت آلة التنبيه المزعجة. رأيتُ سربًا من الجمال تسيرُ في اتجاهي في وسط الكوبري وكان هناك رجل عجوز يرتدي جلبابا يسوقهم بعصا في يديه. لكن الجمال لم تخرج عن هدوئها، احتفظت بكل استرخائها رغم العصا وأصوات السيارات، كم كنتُ أتمنى أن أحتفظ بهدوء يشبه هدوء هذه الجمال لكني أخذت أنظر إلى ساعة يدي على الأقل أربع مرات كل دقيقة. إن الساعة الآن الثامنة وعشر دقائق! أرجوك يا سليم لا تتركني أنتظر كثيرًا! أسمع صوتًا يقول:
"صباح القشطة"
لم ألحظ قدوم سليم في ظل كل هذه الضوضاء الجهنمية، أرد قائلة:
"صباحك قشطة"
أحس لمدة دقيقة بأن فمي امتلأ بالقشطة بدلا من أتربة الهواء.

سليم يرتدي قميصًا بنصف كم وبنطلون جينز، لأول مرة أرى ذراعيه الأسمرين المفتولين بالقوة والعضلات. أبعد نظري عنه قبل أن يلاحظ نظرتي، يقول سليم:

"تعالى، سأريك القاهرة من أعلى"

سألته مندهشة:

"كنت أظن أننا سنذهب للتنزه"

يهز سليم رأسه ويقول:

"سوف نفعل ذلك أيضًا ثقي بي"

إنني على استعداد أن أذهب مع سليم في أي مكان حتى لو كان أقذر مكان بالقاهرة. أقول له:

"اتفقنا"

عبرنا كوبري قصر النيل وتركنا دار الأوبرا على شمالنا ودخلنا في شارع مليء بالأشجار والنخيل، ملىء برجال الأمن وسيارات شرطة، كانوا يحملون معهم الرشاشات والمسدسات. لقد اعتدت على مشاهدة الشرطة في معظم الأماكن العامة والأماكن السياحية. تقود هذه الأشجار إلى مكان واسع وكبير يرتفع فيه برج عال ورفيع. سليم يذهب ويشتري تذكرتين ثم نصعد إلى أعلي عبر المصعد. أساله:

"ما اسم هذا البرج؟"

يقول:

"إنه برج القاهرة. ارتفاعه يبلغ مائتي متر، يمكنك مشاهدة القاهرة بأكملها من أعلى"

كنت مشغولة ومهتمة بالنظر إليه أكثر من أي شيء ولكني لن أقول له طبعا شيئًا كهذا.

كان المصعد سريعًا جدًّا. مما أشعرني بارتباك في معدتي، أم أن سبب الارتباك أن سليم كان يقف مقتربًا مني بشدة، صعدنا بعد ذلك بعض السلالم لنصل إلى السطح في الهواء الطلق. كان الهواء باردًا يصفر في آذاننا ولكن الشمس قامت بإرسال أشعتها تحية لنا على الفور. سليم يأخذني إلى الدرابزين ويقول:

"ما رأيك في هذا"

"إنه مشهد رائع"

إن المنظر في منتهى الروعة. كانت الأوبرا تحتنا أشبه ما تكون بقبة مدكوكة على الأرض، حتى ناطحات السحاب على النيل تبدو أشبه ما تكون باللعبة الصغيرة. كان الهواء صافيا ونقيا فوق العادة في المدينة، ليس هناك أي غمامات تحجب الشمس التي كانت ترسل أشعتها الذهبية على البيوت البنية، يشير سليم جهة الجنوب الشرقي ويقول:

"انظري، هناك تقع الأهرامات، هل ترينها؟"

"نعم، شيء غير معقول، إنها على بعد مسافات بعيدة من هنا!"

نكمل الدوران حول الدرابزين. يقول سليم:

"على الضفة الأخرى من النيل تقع القاهرة الإسلامية التي ذهبنا إليها وبعدها بقليل ناحية الجنوب يقع الحي القبطي بكنائسه القديمة والمتحف القبطي"

كنت أخطف النظر إلى سليم ومرة أخرى أتأمله بدلا من المشهد أسفلنا، وحتى لا يلحظ ذلك، أخذت أتمعن في النظر إلى المنظر أسفلنا من وقت إلى آخر، حتى تلك اللحظة كنا وحدنا تماما، ولكن فجأة يقف المصعد ويقذف بمجموعة من الطلاب يتحدثون بصوت عالٍ ويتسارعون في الطابق، يسألني سليم:

"هل تسمعين إليَّ؟"

أقول:

"نع...نعم. طبعًا"

يكمل سليم كلامه مبتسما:

"هناك منطقة المقابر التي يسكنها الآن عدد كبير من السكان الذين لا يستطيعون الحصول على سكن طبيعي"

أقول:

"مساكين! وأين يقع الكورنيش؟"

يقترب مني فيلمس يدي بالصدفة؟؟ يلمس شعر يديه جلدي، تسير بداخلي قشعريرة، وقفنا بجانب بعضنا متلاصقين لدرجة أن ملابسنا تلامست وشعرت بحرارة جسده الدافئة، يقول:

"هناك يقع كورنيش النيل، هو ذلك الخط الأبيض الممتد بجانب الفنادق العائمة هل تعرفتِ عليه؟"

"نعم، لقد رأيته الآن"

تمنيت أن يمسك بيدي الآن، لكنه لم يفعل ذلك، بل ابتعد عني بضع خطوات، يقول:

"آتي دائما إلى هنا حينما أرغب في الحصول على هواء نقي وأتحرر من كل ما يشغل بالي"

أقول له:

"أفهم تماما ما تعنيه، هنا عاليا يمكن للإنسان أن يكون حُرًّا تماما بعيدًا عن كل الأشياء"

وقفنا صامتين لبرهة وبجوارنا أزواج من العشاق متلاصقون، يمسكون أيديهم دون أن يراهم أحد.

يسأل:

"ما رأيك لو نزلنا إلى الشارع؟"

أقول:

"اتفقنا"

ننزل عبر المصعد ونخرج إلى منتزه الأشجار جهة الكورنيش النيل دون أن يقول سليم كلمة واحدة، أشعر بالقلق من طول صمته، نمر بجانب النيل على السفن العائمة الملونة التي تنتظر بفارغ الصبر أول زائر يدخلها.

كنا نمر على أرائك يجلس عليها أزواج العشاق متلاصقين بجانب بعضهم البعض لكنهم لم يتلامسوا، سألت سليم حتى أكسر حاجز الصمت:

"كيف حال عزفك على الكمان؟"

يقول مبتسمًا:

"إنني أتدرب كثيرا في الوقت الحالي لأنني فعلا أحب العزف على الكمان، لكن العزف في الفريق الموسيقي ليس جيدا، لأننا لسنا متفقين حول اتجاه وطريقة الموسيقى، ولكن دعينا من ذلك. ما هو حالك مع المسرح؟"

أرد:

"جيدة جدًّا، السيدة إشفيجر مخرجة رائعة، في المرة السابقة تدربنا على استخدام مشاعرنا أثناء التمثيل، هذا الأمر ليس سهلا، لكنه استحق العمل عليه، خصوصا أن النص الذي نعمل عليه يحتاج إلى استخدام المشاعر، هذه المشاعر الخفية والمكبوتة، لاسيما وأن الحوار قصير لذا يحتاج الممثل في النص إلى استخدام لغة الجسد حتى يعبر عن عالم ومناخ القصة"

وجدتني دون أن أشعر أتحدث بالتفصيل عن كل شيء خاص بالمسرحية كان يخطر ببالي، أخذ يستمع إليَّ بكل آذان صاغية ليعلق قائلا:

"إنك ممثلة رائعة بالتأكيد، يسعدني كثيرًا أن أراك على خشبة المسرح"
يلمس يدي بالصدفة مرة أخرى، فأكتم أنفاسي، يقول هو بصوت متهدّج:
"أريد أن أقول لك شيئا، ولكني أخشى أن تضايقك كلماتي؟!"
أقول بعد أن أهز رأسي بالنفي:
"ما الذي سيجعلني أتضايق منك"
"بالتأكيد ستخطئين فهمي، أعرف ذلك؟"
"لا، تكلم من فضلك"
"على شرط أن تعديني أن لا تتضايقي"
يزداد توتري:
"نعم، أعدُك بذلك"
يلتقط سليم أنفاسه ويقول:
"إنني أتبُع ظلك، أينما تكونين"
كانت كلماته أشبه بالقبلة الساخنة، بدأت شفتاي ترتعشان من حرارة كلماته، تسللت أصابعه إلى ظهر يدي وتشبث بها بقوة دون أن يتركها مرة أخرى. كانت يداه ناعمتين ودافئتين، تحملاني فوق كورنيش النيل. يقول:
"إنك تسعديني يا كيارا، أتمنى أن أُعوضك، آلاف المرات بمثل سعادتي"
أتشبث بيده وأضغطها بقوة وأقول:
"سليم .."
تضيق حدقة عينه وترتعش شفتاه، كم أرغب في أن أقبلك يا سليم الآن، حالاً!
وإذا فجأة بمجموعة من الرجال يمشون أمامنا، يترك على إثرها سليم يدي سريعًا وكأنه ألقي بي في حفرة شديدة البرودة بعيدًا عن دفئه وقربه.
لماذا نحن هنا في هذه المدينة التي تخنق وتقتل كل المشاعر، إن القاهرة لا تسمح لأحد بأن يعبر عن مشاعره الطبيعية بحرية. لو كنا جالسين الآن في أي حديقة بألمانيا، فلن يجرؤ أي إنسان على مضايقتنا ولن يثور أحد ويتدخل في حال اثنين من الأحباء يُقبّل بعضهما البعض.
أقول له هامسة:
"هل من الممكن أن تأتي معي إلى البيت"
يقول:
"نعم"

ابتسامته تعيد إليَّ حب القاهرة مرة أخرى، في البيت أنادي بصوت على، لكن أحدا لا يرد عليَّ.
أكتشف ورقة موضوعة على مائدة المطبخ:
حبيبتي كيارا
ذهبنا إلى وسط البلد لشراء حاجات عيد الكريسماس
هانو مع أحد أصدقائه
ماما وبابا
يا للحظ السعيد !
يخطو سليم بحذر ويقول:
"إن الوقت متأخر يا كيارا"
أسأله:
"ماذا بك؟"
يقول:
"لديَّ واجبات كثيرة عليَّ أن أفعلها و. . . ."
أسأله مرة أخرى:
"قل الحقيقة من فضلك ؟"
"إن والديك سوف يتضايقان، عندما يعلمون أننا هنا بمفردنا في البيت"
نظرت إليه بغضب واندهاش:
"وما الغريب في أمر كهذا؟"
أقول:
"إن والديَّ آخر من يغضبان لذلك، على العكس سوف يسعدون عندما يعلمون أنني وجدت أخيرًا صديقًا وأنني سعيدة معه"
يقول:
"هل هذه هي الحقيقة؟"
"نعم، صدقني!"
ظل سليم مترددا:
"ولكن أخاف عليك من كلام الناس، إن أعينهم تراقب كل شيء"
خسارة أنك لا تستطيع سماع ذلك يا هانو! أقول له:
"لا تقل ذلك مرة أخرى، هل الحب شيء سيئ؟"
يهز سليم رأسه مبتسمًا. أقول له:
"تعال اجلس بجواري على الكنبة"

obeikandl.com

أخيرًا لم يعد يقاوم ويعود إلى حالته الطبيعية، يمسك بيدي ويمررها فوق وجهه برقة. فأهمس له:

"لقد افتقدت دفئك"

قرب وجهه من وجهي وجسده من جسدي أغمضت عيني لأتنفس دفء أنفاسه، أبحث عن شفتيه، إن سعادة سليم تعود إليَّ الآن متضاعفة ألف مرة.

obeikandl.com

الفصل الحادي عشر

الشموع مضاءة في كل مكان في غرفة المعيشة في خلف الكنبة وعند النوافذ وعلى الأرض. فقط شجرة عيد الميلاد ليست بها أي أضواء، هذا العام خصيصًا لم تكن شجرة عيد الميلاد شجرة بل كانت جزءًا من نخلة، وبدلا من الثلوج التي كانت تهبط من السماء كنا في هذا العام نحتفل بوضع أقطان حقيقية عند النافذة نظرا لأن درجة الحرارة وصلت إلى خمس عشرة من الخارج.

بخلاف ذلك كان كل شيء كما هو معتاد، أمي كانت في حالة من الضيق والهرع، أبي كان ينم مرة أخرى ويتحدث عن إمكانية الإقلاع تماما عن الاحتفال بأعياد الميلاد كأعياد تقليدية رغم أنه لم يفعل ذلك في حياته أبدا، هانو كان يحشو فمه ويملؤه بقطع من الحلوى التي كانت أرسلتها العمة مونيكا من ألمانيا. أما أنا فكنت شخصية جديدة: كيارا أخرى غير التي يعرفها الجميع، لكن أحدا لم يلحظ شيئا. الاحتفال الحقيقي بأعياد الميلاد قد حدث منذ أسبوع مع سليم وكان سليم نفسه هو أجمل هدية قدمت إليَّ هذا العام. كم كنت أتمنى لو كان معي الآن هنا ونحتفل وحدنا بأعياد الميلاد، كنت سأطعمه بنفسي قطع حلوى أعياد الميلاد حتى منتصف الليل، وكنا سنذهب في اليوم التالي إلى أحد الكنائس الموجودة في الحي القبطي ولكنه ليس موجودا معنا، لقد ذهب مع أسرته لقضاء ثلاثة أيام في البحر الأحمر. فقط يمكنني أن أراه بعد غدٍ مرة ثانية!

أمي تحمل الأطباق الفارغة مرة أخرى إلى المطبخ، لقد كانت الإوزة شديدة الاستواء. تقول أمي:

"انهمكت في الرسم ونسيتها تماما"

أقول لنفسي "هذا هو ما نعرفه تماما عن أمي"

أبي يعلق على كلام أمي قائلا:

"لماذا الإوزة كانت جيدة جدا"

تقول أمي:

"أشكرك يا عزيزي"

أبي يبتسم ابتسامة شديدة التصنُّع.

لحظتُ في الآونة الأخيرة أنهم يعاملون بعضهم البعض بحنان ونعومة شديدة وكأنهما يمثلان أمامنا دور السعادة الزوجية بطريقة سيئة، تماما مثل مسرحية كوميدية تمثل على خشبة المسرح ولا يستطيع ممثلوها الإبداع في عملهم حتى يجعلوا الجماهير تضحك وتسخر من رداءة التمثيل، ولكن ما ينقصني هنا للسخرية هو أن آخذ مسافة بعيدة حتى أتمكن من الضحك.

هانو يقول بعد أن يأخذ نظرة خاطفة إلى النخلة الصغيرة وينظر إليَّ بعد أن يأخذ نظرة سريعة أو خاطفة إلى النخلة الصغيرة نحو جبل صغير من الهدايا المرصوصة هناك:

"لقد حان وقت الهدايا"

أمي تلتقط صندوقين صغيرين. أراهن أنها ستهديني هذا العام أيضا كتابًا غريبًا في علم النفس كما يحدث دائما! لكن المؤشر خطأ! أفتح الصندوق وأكتشف أن الهدية هي دفتر ناعم مصنوع من الكتان وصفحاته كانت فارغة. أسألها:

"ماذا يمكنني أن أفعل به؟"

تبتسم أمي قائلة.

"لقد ظننت أن العمل كمخرجة يحتم وجود دفتر للملاحظات حيث يمكن أن تدوني فيه أفكارك والمشاهد التي تخطر ببالك أليس كذلك!"

"أشكرك!"

هذه المرة قد فكرت فعلا في شيء جديد، فتحت بقية الهدايا التي حصلت عليها هذا العام بشكل سريع، لقد حصلت على الحلوى وحصلت على دليل سياحي من أبي، أما هانو فقد أهداني حقيبة بها أدوات الزينة، أعتقد أن هدية أبي وهانو لن تنفعاني بشيء.

يقول أبي:

"لا، يجب أن تنظري في هذا الدليل، إن به أشياء عديدة لا يعرفها السائحون العاديون هنا، كما أننا يمكننا فعلا أن ننطلق معًا ونقوم برحلات مشتركة أنا وأنت في أماكن عديدة بداخله"

أقول لأبي:

"سنرى ماذا سنفعل لكن لا تنس أنني الآن أعرف القاهرة بشكل جيد"

أقول لنفسي مؤكدة لا يجب أن أنسى أيضا أنه لديَّ أفضل مرشد سياحي في العالم!

يبتسم أبي قائلا:

"أنا سعيد أنك تعرفين الأماكن هنا كلها، كما أن أعظم الاكتشافات يمكن للمرء أن يجدها بالتأكيد وحده دون مساعدة الآخرين"

أذهب إلى المطبخ لأحضر بعض المشروبات. هانو يتبعني في الطريق إلى هناك ويسألني:

"لم تحدثيني عن رأيك في حقيبة أدوات الزينة، لقد ساعدتني مايكه على اختيارها، أعتقد، أن لها لمسة قوية في هذا"

أقول له:

"شيء عظيم رغم أنني لا أتزين إطلاقا، ولكن على الأقل سأستفيد من الهدية الرائعة التي اختارتها مايكه"

يهز هانو كتفيه ويقول:

"أعتقد أنه في هذا الوقت لا أستطيع أن أرضيك على الإطلاق، أليس كذلك؟"

أصرخ في وجه قائلة:

"أرجوك اتركني في حالي"

يقول هانو:

"لكن شيئا آخر يجب أن تعرفيه وهو أن سليم قد قال في تدريب الفرقة الموسيقية إنه قد غزاك وحصل عليك وإنك تتعلقين به بشدة"

أسد أذني وأقول له:

"اغرب عن وجهي"

أقول لنفسي: شيء مستحيل لا يمكن تصديق ما يحدث، هانو قد جن تماما. يبدو وكأنه شديد الغيرة هذا الأحمق!

أمسح كل ما قاله من ذاكرتي وأتجه مرة أخرى إلى غرفة المعيشة. في هذا الوقت يكون أبي وأمي قد قاما بفتح هداياهما. أمي تتوجه إليه بسعادة وتقول:

"كتاب في المطبخ العربي! فعلا أنت لديك أحيانا أفكار جميلة"

أبي يضع تبغًا بطعم الفانيليا في النرجيلة ويأخذ في التدخين مستمتعا في صمت.

تبغا بطعم الطباق. وكأنها قبلة ناعمة من سليم، في المرة القادمة لن أتركه يذهب سريعا، سأقيده بجانبي!

تقول أمي:

"هيا يا كيارا هيا غني معنا!"

نغنى معًا أغنية لقد جئتكم من السماء أغني معهم بأعلى صوت، أغني مخرجة بأعلى صوت رسالة في سماء القاهرة:

"إني أحضر لكم أجمل الحواديت"

أقول لنفسي: يا سليم كم أثق فيك، سليم كم أحبك!

بعد ذلك بيومين تنادي عليَّ أمي بصوت عالٍ قائلة:

"كيارا، شخص ما أتى لزيارتك"

أهبط السلالم مسرعة وأقول لنفسي بالتأكيد أنه سليم. كان واقفا وفي يده حقيبة مليئة بالهدايا وكان محرجًا، ووقف في خجل في ممر البيت. تقول أمي:

"لقد ظننتُ أنه أتي في البداية إلى هانو ولكنه قال مؤكدا إنه أتي لزيارتك"

أقول لأمي:

"أرجوك كفى يا أمي، لا يجب الخوض في الموضوعات المحرجة أكثر من ذلك"

أخرج إليه وأقول:

"أهلا يا سليم!"

سليم يصعد ورائي السلالم لنتجه نحو الغرفة، من حسن حظي لا يظهر هانو.

أغلق مسرعة الباب من خلفنا وأحتضن سليم وأتمنى أن لا تنتهي هذه اللحظة أبدا.

سليم يبتعد عني قليلا ويحركني بمسافة بعيدة عني ويقول:

"أنا غاضب منك!"

أسائله في اضطراب:

"ما سبب غضبك؟"

يقول سليم مبتسما:

"لا، لا تأخذي أنا لم أعن ذلك بالتحديد، أقول أحيانا هنا إنني غاضب بمعنى، أنك وحشتيني؟"

"أهذا ما تعنيه إذن"

أمسك يد سليم وأمسك أصابعه وأغوص في عينيه وأقول له:

"أنا أيضا غاضبة منك بشدة!"

يقول سليم بعد أن يمد يديه بحقيبة الهدايا:

"سلام عليك لقد أحضرت لك بعض الأشياء من البحر الأحمر"

أقول له وأنا قد ملأني الحب:

"إنه شيء لطيف منك!"
نجلس على الكنبة. أفتح في هرع الحقيبة. كانت ممتلئة بقواقع صغيرة وهدية ملفوفة في ورق أزرق، عندما نزعته مسرعة ظهرت زجاجة صغيرة من العطر. يقول سليم:
"أتمنى أن يكون العطر تذكارا لك في رحلتنا إلى الحي الإسلامي في مصر القديمة، إنه فعلا خليط من العطور الشرقية"
أفتح في اشتياق غطاء العطر وأضع منه نقطة على معصم يدي الخلفي، في الحال تتسحب رائحة عطر قوي إلى أنفي، لم أكن أستخدم غير العطور الخفيفة والإسبيريه، الشيء الذي لم أفصح عنه بالطبع إلى سليم. أمد يدي نحوه وأحتضنه وأقول له:
"شكرا جزيلا، ألف شكر!"
يقول سليم هامسا:
"كفى ذلك أعتقد أن القمر قد بدأ يغير منك، لأنك بالطبع أجمل منه بكثير"
يرتعش جسدي من السعادة وأقول له:
"سليم هل تعرف أنك أجمل شيء قد حدث لي في القاهرة، ويمكنني فعلا أن أؤكد لك أنني سعيدة جدا لأننا تقابلنا بالصدفة، شيء جميل أليس كذلك؟"
فجأة ينظر سليم إليَّ بجدية ويقول:
"صدفة، لا لم يكن لقاؤنا صدفة أبدا بل إنه كان القدر، كان قدرنا أن نلتقي معًا"
أقول له بصوت خفيض:
"هو كذلك وأتمنى أن يستمر قدرنا بأن نكون معًا دائما..."
سليم يقول:
"إن شاء الله"
أعتدل في مكاني وأقول له:
"يجب أن أقول لك إننا مادمنا مصممين أن هذه رغبتنا فسنحقق ما نرغب فيه تحت أي ظروف ودون تدخل من أي إرادة أخرى"
يقول سليم:
"دعينا لا نختلف، انظري لقد أحضرت لك معي سي دي لعمرو دياب"
اسأله قائلة:
"من هذا؟ هل هو مُغنٍّ عربي؟"
يقول سليم:

"نعم هو مُغنٍّ يقوم بعمل موسيقى عربية بها بعض العناصر الموسيقية من موسيقى البوب الأمريكية. أنا متشوق كثيرا لمعرفة إذا كان سيعجبك أم لا!"

أضع السي دي حتى تبدأ الموسيقي وأحتضن سليم وأسمع صوت تداخل الموسيقي ما بين البيانو والجيتار، موسيقي شديدة النعومة تتداخل مع أصوات الطبل. حتى هذه اللحظة كانت الموسيقي تبدو وكأنها نوع من الموسيقى الناعمة حتى ظهر صوت عمرو دياب بصوت واضح وبدأ في الغناء المتعارف عليه في العالم العربي. يسألني سليم:

"هل يمكنني أن أخبرك عن معني وقصة الأغنية؟"

أومأت برأسي.

"إن موضوع الأغنية يتعلق بقصة حب لا تنتهي نهاية سعيدة، قصة رجل يحب امرأة وهي لا ترغب في بداية أي شيء معه، يحاول أن يلتقي بها ويزاحمها في كل مكان لمدة شهور، ولكنه لا ينجح في شيء، ورغم ذلك لا ييأس من الأمر، لأن حبه لها لقد ملأ حياته وأصبح جزءًا أساسيا منها، وتبقى هذه المرأة في قلبه حتى بعد زواجه ونهاية حياته وموته"

أقول له:

"إنها فعلا قصة جميلة ولكنها حزينة إلى حدٍّ ما. يجب أن تعترف أنك كنت محظوظا لأنك لم تضطر إلى أن تزاحمني"

يضحك سليم قائلا:

"نعم حقا أنا كنت محظوظا، لأنك فتاة ألمانية"

أسأله بنوع من الاضطراب:

"ما الذي تقصده بالتحديد؟"

يرد قائلا:

"إن كل ما أقصده أنك لم تعلقيني لفترة طويلا، وأرى أن الأمر كان شيئا جميلا!"

أسحب جسدي من عناقه لي وأسأله:

"سليم هل يمكنك أن تقول لي إن كنت أخبرت أحدًا أنك قد حصلت عليَّ بسهولة وأنك قد رددت كلامًا مثل أنك قد غزوتني؟"

تنفتح عينا سليم باتساع من الدهشة ويرد قائلا:

"ما الذي يجعلك تفكرين في الأمر بهذا الشكل؟"

"لا شيء، بعض الشباب في مصر يفعلون ذلك؟"

يقول سليم:

"ربما يحدث هذا في بعض الحالات، لكن شيئا مثل هذا لم أفعله إطلاقا. يجب أن تصدقني يا كيارا ما أقوله لك، إن أسرار علاقتنا هي في بئر عميق"

كانت نظرة سليم منفرجة، مما يدل على عدم كذبه أثناء تحدثه معي، أبتسم قائلة:

"يا رجل هل هذا الكلام صحيحفعلا ؟"

يقول سليم:

"نعم إن هذا صحيح فعلا"

يقوم هو بزغزغتي، أضحك حتى لا أستطيع أن آخذ أنفاسي وأستريح بعد ذلك منهكة فوق صدره.

سليم يرفع رأسي بخفة ويعطيني قبلة طويلة وأشعر وكأن عمرو دياب يغني أغنيته لنا فقط.

القاهرة يوم ٨ يناير

لقد كان ما حدث في أعياد الميلاد مثل حلم قصير!

سليم، يجب أن أخبرك أنني فعلا قد تضايقت منك، كم أفتقدك بشدة ولم يعد بإمكاننا أن نلمس بعضنا البعض بالمدرسة، الشيء الذي أصبح على وشك أن يصيبني بالجنون ولا أعرف ماذا يمكن أن أفعل إزاء ذلك، وكأنه لا يوجد شيء بيننا! وفي نفس الوقت أصبحت أنت حياتي كلها!

كان لدينا وقت كثير طوال اليوم من الصباح حتى المساء وكنا نقوم كل يوم بعمل أشياء مشتركة، في إحدى المرات كنت تريد أن تحضر معك بعض الأصدقاء ولكنني استطعت أن أجعلك تقلع عن هذه الفكرة. كنا نمشي في شوارع القاهرة ساعات طوالاً حتى كانت تؤلمني قدماي وتنتفخ من المشي لدرجة أنني كنت لا أشعر أحيانا بالألم بل بالسعادة، فقط السعادة!

لقد أصبحت قريبا جدا من نفسي وكأنني أعرفك منذ الأزل. وفي كل مرة كنت أمشي معك فيها عبر شوارع القاهرة كنت أتذكر فيلم هاري وساري، كنا نمشي في شوارع القاهرة ونتحدث ونتحدث تماما مثل الاثنين، حيث كانا في الفيلم أقرب الأصدقاء إلى بعض، أنت أيضا صديقي يا سليم، يمكنني فعلا أن أحكي لك عن كل شيء في حياتي، عن مشاكلي مع أسرتي أو مع هانو أو عن المشاكل الموجودة في الفصل، لقد أصبحت بكل بساطة تسمعني في ما كل ما يمكنني أن أقوله دون أن يكون لديك رغبة ملحة في حل المشاكل في الحال، فقط كنت تستمع إليَّ لأنك كنت تعرف أن هناك من الأشياء ما لا يمكن حلها

في الحال، أنت أيضا لديك مشاكل كثيرة، منها مشكلتك مع الفرقة الموسيقية حيث يحاول هانو أن يسيطر على الفريق بأكمله وأنت تحاول أن تقاوم هذا الأمر. وكم ستستمران معًا أو ستبقي هذه الفرقة الموسيقية!

كما أن لديك أيضا خلافات عديدة مع والدك، صحيح أنه يقول إنك حر فيما يمكنك أن تفعله، لكن في واقع الأمر يريد منك أن تصبح محاميا وأن تعمل معه في مكتبه وتخلفه بعد ذلك في عمله. هذا الشيء لا ترغب فيه على الإطلاق، فكل ما تريده أنت أن تحترف العمل في الموسيقي وتحترف العزف على آله مثل الكمان وتعزف وسط الأوركسترا أو في فريق ما على الجيتار حتى يمكنك في المستقبل أن تقوم بتأليف الموسيقي الخاصة بك. كم أتمني فعلا من كل قلبي أن تصل إلى ما تريده! بالتأكيد أن والدتك ستفرح كثيرا بنا، إذا نجحت في الوصول إلى هدفك، إنها فعلا امرأة عظيمة وأنت ربما تكون تعلمت وورثت الكثير منها ورثت الإبداع والحساسية والدفء والطاقة، كنت أتمني أن يكون لديَّ مثل كل هذه القوة والطاقة التي تمتلكها!

سليم كم أنا سعيدة جدا بموعدنا في مساء الغد، لقد اتفقنا أخيرا بعد مدة طويلة أن نذهب إلى السينما لنشاهد فيلم "فرانكا بوتنتا"، سأذهب لأول مرة إلى السينما في القاهرة، شيء لا يمكن تصديقه رغم أنه كان بإمكاني أن أذهب من قبل وحدي إلى السينما، ولكن هذا الشيء لا يكون ممتعا، وصديقتي مريم ليس بإمكانها الخروج متأخرة في المساء، لهذا اضطررت أن أستعير أفلامًا على "دي فيدي" حتى أضيع الوقت. والآن نحن على موعدنا لمشاهدة فيلمنا الأول يا سليم. حتى نلتقي في القريب العاجل.

لقد وصلت مرة أخرى مبكرا ويجب أن أنتظر سليم. لقد أصبحت المحلات التجارية في مول وسط البلد ممتلئة بشكل غير عادي. ذلك لأن المحلات تظل مفتوحة حتى منتصف الليل، الشيء الذي يجعل الناس هنا في مصر تخرج للشراء والزحام في حدود الساعة الثامنة ويبدءون في الحركة داخل المحلات فوق السلالم الكهربائية المتحركة. الأماكن كلها ممتلئة بعائلات مع أطفالهم وهناك مجموعات كبيرة من الشباب متجمعون في أماكن الشراء. في وسط كل هذه المجموعات من الشباب لا يمكنني أن أجد سليم بينهم.

أصبحت أحفظ أفيش الفيلم حفظا، كنت أعرف أن فرانكا بوتنتا تدرس التصوير وأحد المساعدين في الدراسة قد وقع في غرامها ولكن لم يجد طريقا في الوصول إليها، كنت أسأل نفسي كثيرا: لماذا تنتهي كل قصص الحب

نهايات غير سعيدة ولماذا نجد ذلك في كل ما نقرؤه أو نسمعه علاقات شديدة التعقيد؟

في هذه اللحظة يقع بصري على سليم الذي كان يصعد السلالم المتحركة في هدوئه المعتاد، وحينما وجدني لم يسرع من خطواته إطلاقا:

"أهلا يا كيارا لقد وصلت بالفعل"

أخبط فوق ساعة يدي وأقول له:

"لا يهمك، لكن كنت أخشي أن أذهب إلى السينما وحدي في المساء"

يسأل سليم:

"لماذا هل حدث شيء، مازال أمامنا الكثير من الوقت، كما أن عرض الفيلم لا يبدأ إطلاقا في ميعاده"

وجدتني أضحك وأقول له:

"طبعا، لكن أحيانا أتخيل كأني مازلت في ألمانيا"

يقول سليم:

"لكن لحسن حظي أنك لست هناك"

سليم يحرك بصره ويتأملني في هدوء.

لو كنا الآن وحدنا لاحتضنته ولكنني أحاول أن أتملك مشاعري وأتحكم في الأمر، فقط لأننا بعد دقائق قليلة سندخل السينما المظلمة ويمكنني أن أمسك يده دون أن يراقبنا أحد.

سليم يصمم على أن يدفع بنفسه تذاكر السينما ويقودني عبر الطرقة إلى صالة السينما الكبيرة المظلمة التي كانت ممتلئة على آخرها. نحصل على مكانين في الصف الثالث بصعوبة بالغة.

فوق شاشة السينما تبدأ الإعلانات، نجلس سريعا في أماكننا، صوت المشاهدين الموجودين في القاعة عال بدرجة كبيرة حتى إنني لا أستطيع أن أفهم جيدا ما يقال على الشاشة ولكني لست مهتمة كثيرا، أحرك يدي لأمسك يد سليم فيلتقطها في الحال ويتحسس أصابعي، يغمرني شعور بالسعادة. أغلق عيني حتى أشعر ببشرته الناعمة وبقربه أكثر.

يبدأ الفيلم ولا أستطيع أن أفهم كل ما يحدث في البداية بسبب الصوت العالي حولنا، بعد ذلك أحاول التركيز على فهم اللغة الإنجليزية لأني تأكدت من أن أي فيلم بدون ترجمة مكتوبة لن يكون سهلا.

سليم يسحب يديه مني ولكنني على الأقل أشعر بقربه وأشعر بأنفاسه تصل إلى إذني.

لم أفهم الكثير مما يدور في الفيلم بسبب الصوت حولنا. كل ما أستطيع أن ألم به هو أن فرانكا بوتنتا كانت امرأة صعبة المنال وأن إليا وود يحاول بكل ذكاء الوصول إليها ولكن في وسط الفيلم وبعد التطورات الكثيرة يقبل الاثنان بعضهما البعض، تعلو أصوات صاخبة في قاعة السينما ويصفر البعض فأبتسم ابتسامة غريبة لأن بعض الذين يصرخون كانوا من الأشخاص البالغين أو كبار السن، الشيء الذي لا يفعله في ألمانيا فعلا غير الأطفال الذين لا تتجاوز أعمارهم الست سنوات، فجأة يرن جرس الموبايل أمامنا ويقوم صاحب الموبايل فعلا بالرد على المكالمة الآتية، بل ويسأل الآخر عن صحته وحاله! في هذه اللحظة يتشاجر معه بعض الجالسين بجانبه. وأنتهز هذه الفرصة حتى أحتضن ذراع سليم من الأسفل وأقرر أن أتقرب منه ولا أهتم بالصخب أو الموبايل أو حتى الفيلم نفسه، أهم شيء بالنسبة لي أن أكون بجانب سليم؟

أشعر بعد الفيلم بسعادة عظيمة، وحينما نخرج إلى نور الصالة الخارجية يبدأ سليم في الابتعاد عني مرة أخرى ويمسح فوق خصلاته السوداء ويغمز بعينيه ويقول:

"هل لديك رغبة أن نذهب إلى أحد الكافيهات هنا"

أقول له:

"طبعا"

نتحرك وسط جموع المشاهدين الخارجة والسلالم المتحركة إلى أسفل، بالداخل تعود درجات الحرارة مرة أخرى إلى دفئها، كان المقهى واحدًا من سلاسل المطاعم الموجودة في ألمانيا في كل مكان.

كنت أذهب مع دورو والبنات صديقاتنا كثيرا إلى هذا المقهى وكنا نبقى هناك لوقت طويل. يا لهول من الأمر لقد حدث ذلك منذ زمن بعيد!

أطلب قهوة "لاتا ماكياتو" مع الكراميل وسليم يطلب مشروب الكاكاو الساخن. يقول عامل المقهى من وراء ماكينة القهوة:

"I will bring it to your seat"

نذهب إلى أعلى في الطابق الأول. يقول سليم:

"أنا أحب أن آتي إلى هنا، ربما أكثر من الذهاب إلى أي مقهى عادي، لأن الأثاث والديكور هنا لطيف جدا، كما أن الواحد يمكنه الالتقاء بالعديد من والطلاب ويمكنه التواجد مع الكثير من الناس، هل تحبين أنت أيضا الخروج مع أعداد كبيرة من الأصدقاء"

أجيبه:
"لا، أنا في الحقيقة أحب أن أخرج مع شخص واحد فقط، حتى يمكنني أن أتحدث بشكل أفضل"
ترتفع خطوط جبهة سليم إلى أعلى في دهشة ويقول:
"نعم أنت تتكلمين كثيرا عندما نكون وحدنا، هل تفعل كل البنات في ألمانيا نفس الشيء؟"
"ما الذي تقصده بهذا؟"
"لا شيء، أنا لا أقصد شيئًا"
ينظر سليم بكل وضوح إلى ساعته فأسأله في ضيق:
"هل تشعر بالملل معي؟"
يبتسم سليم ويقول:
"بالطبع لا"
يحمل عامل المقهى المشروبات إلينا فوق صينية ويضعها أمامنا ويضع أيضا فنجانًا صغيرًا ممتلئًا بالسكر البني. أقلب السكر في القهوة بعصبية حتى أن بعضا من الحليب يسقط من الفنجان. سليم يتحدث صارخا:
"احترسي!"
"سليم لقد خرج الأمر عن حده، ماذا بك هل أنت لست على ما يرام؟"
يغير سليم الموضوع فجأة بعد أن يقول:
"كل شيء تمام، ما رأيك أن نذهب يوم الجمعة القادمة للتزحلق على الجليد؟"
"هل أنت تمزح، نتزحلق على الجليد في القاهرة؟"
يقول سليم:
"يوجد العديد من الأماكن هنا للتزحلق على الجليد في الأندية الكبيرة. حذاء التزحلق يمكننا استعارته بالطبع من هناك، إنه مكان مميز جدا ويقع في وسط المول حيث توجد العديد من المقاهي. وحول هذا المكان يمكن رؤية الناس تصعد وتهبط السلالم المتحركة"
أقول له:
"الأمر يبدو شديد الجنون، لكن يجب أن أقول لك إن قدرتي على التزحلق على الجليد ليست ماهرة على الإطلاق"
يلوح سليم بيده ويقول:

"ليست في الأمر مشكلة على الإطلاق، أنت لست وحدك كذلك، فالعديد من أصدقائي لا يقدرون على التزحلق بمهارة على الجليد"

"أصدقاؤك؟ هل سيأتي أصدقاؤك معنا"

يقول سليم:

"طبعا فالأمر يكون أكثر متعة في التزحلق على الجليد حينما نأتي هنا كمجموعة"

أقول له:

"يا سلام ومعي لن يكون الأمر ممتعا؟"

يتحدث سليم في ضيق ويقول:

"أرجوك، توقفي عن التفكير بهذا الشكل!"

أنظر في تصلب إلى سليم وأقول:

"إذن ليس هناك أي مشكلة على الإطلاق"

أقوم من مكاني مسرعة وأمشي وحدي بعيدا.

القاهرة ١٩ يناير

أصبحت أشعر بخوف كبير أن أفقد سليم. ربما لا يحتمل الأمر كل هذا ولكني أصبحت أيضا لا أستطيع التخلص من هذا الشعور البشع. لماذا لا يرغب سليم فى الذهاب معي للتزحلق وحدنا على الجليد؟ خصوصا الآن حيث لم نعد نرى بعضنا بشكل كاف أثناء فترة الإجازة المدرسية.

هل مَلَّ سليم مني! هل تركت نفسي له بسهولة وبسرعة؟ هل يجعل هذا الأمر الرجل الشرقي لا يشعر بنوع من الجاذبية؟

هل هانو كان محقا فيما كان يقوله أن سليم قد كذب عليَّ؟

لا لا يجب أن أفكر في ذلك كثيرا حتى لا أجن، اليوم سيكون كل شيء كالمعتاد، سنذهب للتزحلق على الجليد، وسليم سينظر إليه بنظرة خاصة وسط هذا العدد كبير من الموجودين، إنني أحبك يا سليم!

كان الطقس مناسبا للتزحلق على الجليد، فدرجة الحرارة قد وصلت إلى عشر درجات وشعرت ببرودة شديدة مثل التي أشعر بها في ألمانيا حينما تكون درجة الحرارة عشرة تحت الصفر. حينما نصل إلى المركز التجاري نجد المكان ممتلئًا على آخره.

أتساءل: كم عدد المراكز التجارية الموجودة بالقاهرة؟ بالتأكيد بالمئات.

آخذ حذاء التزحلق وأذهب ببطء متجهة نحو الدكة لأجلس هناك حتى يمكنني مشاهدة قدوم سليم، بالتأكيد سيصل كالعادة متأخرا كما أعرفه.

الجمهور الموجود في ساحة التزحلق شديد الاختلاف، من ناحية أرى آباء يساعدون أولادهم في ارتداء الأحذية والتحرك في الخطوات الأولى نحو التزحلق فوق الجليد، ومن ناحية أخرى أرى بعض الأحباء يأخذون بعض الدورات فوق الجليد والأغلبية العظمى من باقي الجماهير من التلاميذ.

كانت إحدى المجموعات المدرسية شديدة الانفلات، فأخذوا يزاحمون بعضهم البعض ويدفعون ببعضهم البعض ويضحكون بصوت عال دون نهاية.

فجأة يخفق قلبي بشدة. أشاهد سليم وسط مجموعة التلاميذ، كان بينهم ويمسك بيد فتاة ويتحركون بشكل جيد فوق الجليد.

أتعرف على البنت عندما ترفع رأسها إلى أعلى، كانت ياسمين إحدى المشتركات في مجموعة المسرحية في المدرسة. كانت منبهرة بسليم وسليم كان منبهرا بها. لم أستطع أن أصدق عيني، كان الاثنان يتغزلان، أفتح عينيَّ وأغلقهما مرة أخرى، لا أستطيع أن أصدق ببساطة ما يحدث، إنها الحقيقة، كان الاثنان يتغزلان بالفعل! أقول لنفسي "لا أستطيع أن أتحمل الأمر أكثر من ذلك، أن أرى ذلك بعيني، لابد أن أذهب إلى البيت، فجأة ينادي صوت عليَّ.

"كيارا!"

أقول لنفسي: بالتأكيد إنه سليم، لقد اكتشفني؟

سليم يتحرك نحوي بخطوات واثبة وقوية، ياسمين تتبعه ببطء متحركة فوق الكعبين.

يسألني سليم:

"ما الذي تنتظريه؟ التزحلق على الجليد رائع"

تقول ياسمين ضاحكة:

"سليم مدرس رائع"

أعبث بأصابعي في حذاء التزحلق وأقول لهما:

"أنا سأجهز في الحال، يمكنكم التزحلق أولا وسآتي سريعا"

حينما يبتعد الاثنان أشعر بالدموع في عينيَّ. اللعنة، لن أترك نفسي أبكي حتى لا تشعر ياسمين بالانتصار عليَّ!

أجري بسرعة فوق ساحة التزحلق وآخذ الخطوات الأولى بشكل أسرع من اللازم، فجأة أسقط بشكل تلقائي على الأرض وحينما أبدأ في تمالك نفسي حتى أقف، يمد سليم يده نحوي. ويقول:

"لقد حدث لي هذا الشيء من قبل في بداية تزحلقي على الجليد"

أمسك بيده وأضغط عليها بقوة حتى تؤلمه وأقول له:

"هل يمكنك أن تساعدني في أخذ بعض اللفات معا بدون أحد آخر؟"
سليم يهز رأسه بالموافقة ويقول طبعا ويبتسم سريعًا إلى ياسمين ثم يبدأ في التحرك معي.
أسأله بانفعال حينما نصل إلى زاوية أكثر هدوءا:
"ما هذا الذي يحدث، لماذا تتغزل مع البنت!"
سليم يظهر اندهاشه ويقول:
"مع مَنْ؟ مع ياسمين؟"
"ومع من غيرها؟"
سليم يحرك كتفيه في اندهاش ويقول:
"إنها لطيفة فقط وليس هناك شيء بيننا، لماذا أنت حساسة بهذه الدرجة؟"
"حساسة؟ هل تسمي ذلك حساسية، نحن في علاقة معا يا سليم هل نسيت ذلك؟"
ينظر إليَّ فجأة بضيق ويقول:
"أنت تلتصقين بي طوال الوقت وهذا شيء يجعلني لا أستطيع أن أفعل أي شيء، كما أنني أريد أن أستمتع اليوم هنا، لماذا ترغبين في إفساد الأمر عليّ!
وجهه الآن أصبح غريبا عني حتى كدتُ لا أتعرف عليه، أخرج آخر ما تبقي لي من كلمات بكل صعوبة:
"لقد اتضح كل شيء"
ألتفتُ إلى الخلف حتى لا يلاحظ تساقط دموعي، وأسحب نفسي بكل ما تبقي لي من طاقة متجهة إلى حافة ساحة التزحلق وآخذ حذائي وأهرب من المكان.

القاهرة ١٩ يناير في المساء

وكأنني كنت أشعر بأن ذلك سوف يحدث يا سليم، كيف تمكنت أن تفعل بي كل هذا؟ لماذا؟ ألم تعد تحبني؟ هل قد أحببتني من الأصل، هل هذه هي النهاية؟

الفصل الثاني عشر

أقلب في فنجان قهوة "لاتا ماكيتو" وأنتظر سليم في مكاني داخل المقهى. لقد مر أكثر من أسبوع حاولت خلاله الاتصال به أو مكالمته طوال الوقت في المدرسة ولكنه لم يظهر على الإطلاق، وفي البيت لم أتمكن من الوصول إليه أو مكالمته عبر التليفون، لكن أخيرًا كنت قد أمسكت به بالصدفة في المكتبة، الآن تواعدنا هنا في المقهى الذي كنا نلتقي فيه بعد خروجنا من السينما. بقيت في انتظاره. كان لدىَّ ذلك الشعور بأنّ ما حدث بيننا كان قد حدث منذ أعوام طويلة.

اليوم أتي سليم في ميعاده وطلب فقط المياه المعدنية وجلس بجانبي على الطاولة دون أن ينظر إليَّ مباشرة في عيني، انهلتُ عليه بأسئلتي في الحال وقلت متسائلة:

"سليم ما الذي يحدث؟ لماذا لم تعد تتصل بي، هل بينك وبين ياسمين أي علاقة؟ هل وقعت في غرامها"

سليم يهز رأسه بالنفي ويقول متحدثا:

"ما الذي يجعلك تفكرين في هذه الأشياء؟ هل بدأت ترين أشياء ليس لها وجود"

أسأله بعد ذلك بقليل من الحرص..

"هل لم يعد تمثل العلاقة بيننا أهمية لك؟"

يقول سليم:

"بالطبع تمثل لي أهمية كبيرة وحتى هذه اللحظة يجب أن تعرفي أنني وضعتك في قلبي"

يخرج مني الكلام دون أن أتحكم في ذلك:

"أرجوك لا تتكلم مثل أغاني عمرو دياب"

ينظر إلى أعلى ويقول متنهدا:

"أوكي ماشي، كل ما أريده كان أخذ مسافة بعيدة عنك، لقد وصلني ذلك الشعور أننا نرى بعضنا باستمرار وكان ذلك بالنسبة لي قد أصبح أكثر مما يجب"

"باستمرار؟ لقد كان ذلك فقط أثناء احتفالات أعياد الميلاد وحتى أثناء ذلك لم يَرَ بعضنا البعض كل يوم كما تدعي، حتى إنني كنت أرغب أن أراك أكثر من ذلك"

يقاطعني سليم قائلا:

"كيارا، هذه بالتحديد هي مشكلتنا، أنت ترغبين أن تريني كل يوم بشكل مستمر، أن أكون بجانبك طوال الوقت، وأنا أحتاج إلى مساحة من الحرية الشخصية، أقابل أصدقائي وأمارس هواياتي، وهذا الشيء لا يجعل الأمر يسير بيننا بشكل جيد"

"لكنه يمكننا أن نجد حلا وسط لهذه المشكلة، على سبيل المثال أن نرى بعضنا في الوقت الذي نحتاجه"

"وكيف يمكن أن ينجح شيء كهذا، لا يا كيارا، أنا فعلا أحبك، لكنني لا أستطيع أفعل شيئا كهذا، نحن شديدو الاختلاف، لا نناسب بعضنا البعض، نأتي من حضارتين مختلفتين تماما عن بعضهما البعض"

"وماذا في الحضارتين المختلفتين، يا سليم أنا أحبك!"

يقول سليم:

"لكنني لا أحبك بشكل كاف، أو على الأقل بشكل يكفي لاستمرار علاقتنا"

كلماته تثقب قلبي وكأنها سكين، أشعر ببرودة شديدة تحيط بجسدي وأشعر باختناق غير عادي. أقول له وأنا في حالة من اليأس:

"ولكن أرجوك يا سليم دعنا نحاول مرة أخرى!"

سليم يهز رأسه بالنفي:

أمسك بالشفاطة بكل ما تبقى لديَّ من قوة وأقول له:

"دعنا نبقى على الأقل أصدقاء"

ينظر إليَّ سليم متضايقا ويقول:

"كيارا..."

فجأة تلمع بداخلي فكرة فأقول له:

"إن كل ما كنت ما تريده هو أن تحصل عليَّ، أليس كذلك، لقد حدثني هانو عن هذا الأمر من قبل وقد قُلْتَ هذا أمام الجميع في الفرقة الموسيقية، لقد خدعتني يا سليم؟"

سليم ينظر حول نفسه متضايقا ويقول:

"لا تتحدثي بصوت عالٍ يا كيارا!"

أصرخ في وجهه قائلة:

"إن شيئًا كهذا لا يهمني إطلاقا!"
يتحرك سليم فوق كرسيه بشكل مستمر ويقول:
"نعم لقد كان ذلك صحيحا، لم أكن صادقا معك، يؤسفني أن أقول لك ذلك، ولكن الأمر عندنا في مصر هكذا، فالرجال هنا لا تستطيع أن تفعل أكثر من ذلك، حيث إن البنات جميلات هنا و..."
أقول له بصوت عال:
"أرجوك كفى، لابد أنه لديك مشكلة، على العموم أنت الصائد وأنتم الرجال تفعلون ذلك بمحض رغبتكم، تتصيدون البنات بحجة أنكم لا تستطيعون أن تفعلوا شيئًا إزاء هذا!"
"كيارا أنت لا تفهمين الأمر جيدا. هذه هي حضارتنا"
أقفز من مكاني وأقول:
"شيء كهذا لا يجب أن أتفهمه يا سليم، على العموم يجب أن أخبرك بشيء آخر، فأنا ليس لديَّ أي رغبة على الإطلاق في معرفة رجال مثلك، أنت كنت على حق فعلا، فنحن شديدو الاختلاف. سلام"
سليم يصيح ورائي قائلا"
"ربنا معك!"
أخرج من المكان إلى ظلام المساء وقد جرت الدموع فوق وجهي، بعد نصف ساعة أصل إلى صديقتي مريم وأدق على الباب بشكل مندفع، تفتح سريعا وتسألني:
"كيارا، ماذا حدث! هل جرى شيء؟"
أتنهد قائلة:
"هل يمكنني أن أدخل أولاً؟"
"طبعًا تفضلي"
مريم تحتضنني وتدخلني إلى الغرفة وتقول:
"أرجوكِ أكملي ما تريدين، يمكنكِ أن تبكي في هدوء، نحن هنا وحدنا، أبي وأمي مع أختي في زيارة لبعض الأصدقاء"
أجلس فوق السرير، مريم تنتظرني حتى أستطيع التحدث مرة أخرى:
"لقد انتهت العلاقة بيني وبين سليم، لقد انفصلنا منذ وقت قصير"
بمجرد أن ذكرت لها كلمة الانفصال وجدتني أبكي ثانيا.
"ماذا حدث وما هو سبب الانفصال؟"
تنظر إليَّ مريم وهي متعاطفة معي وتسترسل في الكلام قائلة:

"لقد كنتِ في غاية السعادة أثناء احتفالات أعياد الميلاد وكنتِ في غاية الاستقرار"

أمسك يديها وأقول:

"نعم، لم أصدق ما قيل لي، لكنه كان ببساطة يخدعني، كان يريد أن يستغلني وبمجرد أن أصبحنا معًا، بدأ يتسحب من العلاقة، كل ما كان يريده هو أن يحصل عليَّ وحينما فعل ذلك أصبحت غير جذابة بالنسبة له"

مريم تمسح فوق شعري بيديها وتقول:

"يا لكِ من مسكينة، إن ذلك يؤلمني فعلاً"

أسألها قائلة:

"هل كل الرجال هنا كذلك؟ هل يريدون فقط أن يغزوا البنات ويتركوهنّ بكل هدوء يسقطن بعد ذلك؟"

مريم تقول:

"ليس كل الرجال هنا كذلك، ولكن الكثيرين منهم كذلك، أنت تعرفين أن الأمر هنا مثل لعبة، الكل يريد أن يختبر المرأة هل هي ستستسلم أم لا؟ فلا يجب أن تستسلمي كامرأة إطلاقًا وإلا ستفقدين الأمر، النساء الذين لا يتركون أنفسهم للرجال يبقين دائمًا مرغوبات فيهن في معظم الأوقات"

"لكن هذا شيء غبي وأنا لست لديَّ الرغبة في أن أقوم بهذه اللعبة مع أحد"

تقول مريم:

"أنا أيضا أرى في ذلك شيئًا بشعًا، لكن الأمر هكذا"

"وكيف يمكنك تحمل شيء كهذا"

"لقد نشأت هنا وأعرف الأمر بهذه الطريقة"

"لكنني نشأت وأعرف الأمر بشكل آخر"

بدأتً مرة أخرى في البكاء.

القاهرة ٢٦ يناير

كان شهر رمضان قد بدأ. كل الناس كانت سعيدة وتحتفل بمواعيد الإفطار الجماعي في البيوت أو في الشوارع، أما أنا فمازلت أبكي من وقت لآخر، سألت نفسي: كيف سقطتُ في الفخ الذي صنعه لي سليم، وكيف كنتُ بهذه الدرجة من الغباء حتى أصدقه ولماذا لم أستمع لما قاله لي هانو من قبل؟ لكنني لم أرغب في تصديق ما قيل لي، كنت أرغب في أن أكمل حلمي الجميل، حلمي الذي كان من الخيال تماما كما يفعل الأطفال الصغار ويتعلقون ببالون

هوائي ينفجر بعد ذلك في الهواء. لقد أخذتني كلماتك ومجاملتك التي أعرفها من قصص ألف ليلة وليلة، هكذا كانت البداية وانتهت علاقتنا بقولك لي "ربنا معك" أنا لا أرغب في رؤيتك مرة أخرى يا سليم.

الأستاذ زنف مدرس الرياضيات يخبط بالمسطرة فوق الطاولة ويقول:

"أرجو أن تستيقظوا، أن أريد أن أعمل اليوم معكم رغم أننا في شهر رمضان"

يظهر صوت تنهدات عبر الفصل تعبيرا عن الضيق، معظم التلاميذ سهروا الليلة السابقة وكانوا يحتفلون ويأكلون، يقول السيد زنف:

"أرجو فتح الكتاب على صفحة ٢٠"

أحرك كتابي أيضا ناحية مريم التي كانت تتثاءب بقوة، هي اليوم أيضا لا يمكنها التركيز بسهولة، بعد ١٠ دقائق تكتب مريم على ورقة: هل يمكنك أن تشتري لي سندوتشين وتحضريهما إلى الحمام، أكتب لها على الورقة:

"طبعا سأفعل ذلك:

لقد أخبرتني مريم من قبل أنها في أيام الطمث ولا يجب أن يشعر أحد بذلك ويجب أن تخفي الأمر للحرج.

في وقت الفسحة أسرعتُ بشراء السندوتشات حتى لا تضطر مريم أن تنتظر مدة طويلة في الحمام، حاولنا أن نجد هناك مكانًا مريحا للجلوس، التهمت مريم السندوتشات ثم أمسكت ببطنها وقالت:

"كم كنت جائعة، لكن ماذا بك أنت لم تأكلي شيئا"

أقول لها:

"لست جائعة"

"هل مازلت تمرين بأزمة حب"

مددت يدي أبحث عن منديل ورقي وقلت لها:

"نعم"

تعطيني مريم منديلا:

"دعينا نخرج من هنا"

أتنهد من البكاء ومريم تربت مرة أخرى فوق ظهري:

"لا أعرف ماذا كنت سأفعل من غيرك"

تقول مريم:

"أنا أيضا سعيدة بوجودك معي، على فكرة أنا أيضا مررت بتجربة مشابهة لتجربتك، صحيح أنني لم أقبله ولكننا خرجنا مع بعض لعدة ساعات وفي يوم شاهدته يمشي مع فتاة أخرى"

"يا لك من مسكينة، أنا فعلا أكره الأولاد المصريين"

"لكنني لا أكرههم، رغم أنني لم أعد أتعلق به"

أقول لها:

"كم كنت أتمنى أن أقدر على نفس الشيء مثلك"

تقول مريم:

"أنت بحاجة إلى التغيير وأن تفكري في أشياء أخرى، ما رأيك أن تأتي اليوم معي ومع أسرتي على إفطار رمضان، أمي تطبخ في رمضان فعلا أطباقًا شهية وتدعو الكثير من الجيران والأصدقاء وأرى أنها ستكون سعيدة جدا حينما تأتين معي، ستكون مفاجأة رائعة، لأننا لا نأكل أبدا الكم الكبير من الأطعمة اليومية وأنا أيضا سأكون سعيدة جدا"

"هل تعنين ذلك حقا"

مريم تهز رأسها:

"هذا هو أمر أصدرته إليك"

أقول لها في نوع من الطاعة:

"نعم سأتي معك"

هذه هي المرأة الأولى التي أتعرف فيها على عائلة مريم بأكملها، أمها كانت قد فتحت لنا الباب لتستقبلنا بحفاوة:

"أهلا يا كيارا، تفضلي، جميل أنك معنا اليوم، لكنني للأسف سأضطر أن أتركمما حتى لا يحترق الطعام"

هكذا تختفي سريعا داخل المطبخ، مريم تقدم لي والدها، تخيلته على عكس ما يبدو، تخيلته رجلا نحيفا يرتدي نظارة ومتشددًا في طريقة حياته وفمه نحيف، لكنه كان ممتلئا ومبتسما:

"أهلا يا كيارا، لقد اقتربنا من موعد الإفطار ولا يجب أن يفوتنا ذلك"

أنظر في دهشة إليه وإلى طريقة فتحه للراديو، فجأة يضرب مدفع الإفطار فدوَّى في كل الشقة، بعد ذلك تعالت أصوات أذان المغرب القادمة من الجوامع في الخارج، يقول والد مريم:

"لقد أنهينا والحمد لله آخر يوم من شهر الصيام"

بعد ذلك يمتلئ الصالون بالعديد من الضيوف، بعضهم أُحَيِّيه بشكل بسيط والبعض الآخر أوضح له من أكون، وعندما ألقيت بديباجة التعريف بنفسي إلى إحداهن ضحكت وقالت:

"ألا تعرفيني أنا أم سليم!"

مع سماعي كلمة سليم يسير ألم بداخلي، لكن والدة سليم لا تلاحظ الأمر، أقول لها:

"جميل أن نلتقى هنا بالصدفة، أنا اليوم هنا وحدي لأن عائلتي تحتفل مع بعض الأصدقاء"

قلت لنفسي: أتمنى أن لا يأتي سليم اليوم إلى هنا، لأنني لن أستطيع تحمل هذا، تسألني والدة سليم:

"ما هي أخبارك يا كيارا، هل أعجبك العمل في الفرقة المسرحية؟"

"نعم، لقد أعجبتني جدا، في خلال بضعة أيام سننتهي من الإعداد للعرض"

والدة سليم تسحبني معها ناحية الكنبة وتقول:

"أخبريني، أنتم تقومون بعمل مسرحية للكاتب دورينمات، أعرف أنه ليس من السهل تمثيله ولكنه مؤلف رائع"

"نعم هذا هو رأيي أيضا"

أشرح لها صعوبة تنفيذ ذلك، بالتحديد في إخراج التعبيرات والمشاعر الخاصة بالنص، تنصت والدة سليم إليَّ باهتمام ثم تعلق قائلة:

"هذا صحيح إن مشاعر الممثل وعواطفه في المسرحية هي أهم بكثير عنها في الفيلم، فالممثل يواجه الجمهور على المسرح بشكل حي، وربما يكون ذلك في نفس الوقت هو سبب صعوبة وحساسية الأمر لكنه أيضا سبب الجاذبية الخاصة الموجودة في العمل المسرحي، فلا يمكن كما يحدث في الفيلم تغيير وضع الممثل أو إقطاؤه من ساحة العرض"

أسألها:

"هل يحدث لك أخطاء أثناء التصوير"

تقول والد سليم بعد أن تضحك:

"طبعا ذلك يحدث أحيانا، رغم أنني لا أقول ذلك لأحد، وهذا سر لا يعرفه الكثيرون"

أهز رأسي بثقة وأقول:

"يوم تصوير كهذا أتخيله شديد الإثارة خصوصا مع العمل في مكان معين وتحت إضاءة التصوير"

تمسك والدة سليم فجأة بيدي وتسألني:
"ألا ترغبين في الحضور معنا غدا لمشاهدة التصوير!"
أسألها في حرص:
"ألن يسبب لكم ذلك أي إزعاج"
"على العكس، سأرحب بحضور أحد المشاهدين، خصوصا إذا كان بينهم صوت نقدي هام، إذن فقد اتفقنا، ستأتين غدا إلى مكان التصوير، نحن نصور حاليا بالقرب من الحي القبطي، سنلتقي جميعا بالقرب من المتحف القبطي الساعة العاشرة، هل هذا الميعاد مبكر بالنسبة لك؟"
أقول لها:
"على العكس إنه مناسب تماما، وأنا متشوقة جدا للحضور غدا"
تضع والدة مريم صينية ممتلئة بالفطائر وتقول:
"إذا بقيتم تتكلمون هكذا سنأكل كل شيء"
لن أتركها تكرر ذلك مرة أخرى، ألاحظ بعد ذلك كم كنتُ جائعة.
في صباح اليوم التالي عندما خرجت من محطة مترو الأنفاق اصطدم بي هواء الصباح وأزاح ما تبقَّى في رأسي من كابوس الأمس، كنتُ قد حلمت بالأمس أن سليم قد تزوج ياسمين وقد أقام الاثنان فرحا واحتفالا عربيا ضخما، وكنت مضطرة في الحلم أن أبقى معهم ثلاثة أيام حتى أرى السعادة التي غمرت الاثنين. حتى أبعد عني آخر خيوط التفكير في هذا الأمر أخذت أركز في الخريطة الموجودة في المكان، فالطريق إلى المتحف القبطي سهل ويمكن التعرف على ذلك بملاحظة وجود أسدين مصنوعين من الحديد يقبعان عن مدخل المكان. لكن فريق عمل التصوير لم يتأثر بأي شيء، فقد أخذوا يتحركون في كل مكان، يضعون الأسلاك والمنامات الحديدية، وسط كل هذا الزحام كانت أم سليم تقوم بعملها بكل هدوء، تلاحظ كل ما يحدث حتى إنها اكتشفت وصولي بسرعة:
"أهلا بك في التصوير، هل يمكنني أن أقدم لك فريق العمل"
"أهلا أنا أسمي خديجة"
خديجة هي مساعدة والدة سليم، تكمل حديثها باللغة الإنجليزية، لم أستطع الاحتفاظ بكل الأسماء التي تُليتْ عليَّ عدا الممثلين الرئيسيين في الفيلم سارة وكريم:
"سارة وكريم، هذه هي كيارا هي تمثل في الفرقة المسرحية في المدرسة الألمانية"

يحمر وجهي من الخجل عندما تترقبني سارة بإعجاب، سارة تلك الفتاة الرائعة الجمال ذات الثمانية عشر عامًا بوجهها الناعم.

في هذه اللحظة تصفق والدة سليم وتنادي الجميع باللغة الإنجليزية قائلة:

"please be quiet, we are starting now"

أجلس على كرسي حجري خارج منطقة التصوير، تأخذ المسئولة عن المكياج فى وضع المساحيق على وجْهَيْ سارة وكريم، بعد ذلك يبدأ التصوير مباشرة، تتحرك سارة سريعا متجهة إلى المتحف وتنظر حولها متخوفة عدة مرات، الكاميرا تتحرك فوق منامتها الحديدية بجانبها، يظهر كريم وسارة، ترتعش قليلا مع رؤيته، الاثنان يسلمان على بعضهما وينظر قليلا حتى يمر بجانبها بعض عمال الكومبارس، بعد ذلك تقول سارة:

"I have got to tell you some thing"

"yes"

"I am Pregnant"

كريم يتصلب في مكانه مبهوتا وقد فتح فمه قليلا، خديجة تنادي من بعيد قائلة:

"cut"

تتحرك في اتجاه الاثنين وتتحدث معهما باللغة العربية، تقول إنه سيكون هناك إعادة للمشهد، وإن سارة يجب أن تهمس بكلامها وإن كريم يجب أن يقول جملته بصوت أعلى.

خديجة تقاطعهما مرة أخرى وتأتي إليَّ وتسألني عن رأيي وتقول لي إنها تريد أن يكون هذا المشهد الهام في الفيلم أكثر كثافة من ذلك، وإن الاثنين حتى الآن قد قاما بعلاقتهما، كل بمفرده، ولكنهما الآن يتوقعان طفلا، وهي تعرف تماما أنها ستكون غير مقبولة من المجتمع ومن صديقها، سألتني:

"كيف يمكننا الوصول إلى ذلك بشكل أفضل"

أفكر لحظات ثم أقول:

"يمكن الوصول إلى ذلك عن طريق ملامح حركة وكلمات أقل من الجانبين. خديجة تربت بحماس فوق كتفي وتقول:

"هذا هو بالتحديد ما أرغب فيه، سارة يمكنها فقط أن تشير إلى بطنها بدلا من أن تتكلم. كيارا، هذه فعلا فكرة رائعة"

يتم إعادة المشهد للمرة الثالثة وفي هذه المرة تترك سارة وقتا كافيا ما بين إعلان إشارتها عن الحمل والخوض في أي إشارة أخرى، إن ذلك يجعل الأمر أكثر إثارة وجاذبية، خديجة تنادي مرة أخرى من بعيد:

"Bravo, we have got it"

يبدأ فريق التصوير مرة أخرى في ترتيب معداته، خديجة تلوح إليَّ من بعيد حتى أذهب إليها، أسألها:

"ما الذي سيحدث بعد ذلك"

ترد خديجة:

"بعد فاصل من الراحة سنقوم بتصوير بعض المشاهد الطبيعية لأن الجو اليوم جميل، وبعد ذلك سنعود مرة أخرى لعمل مشهد المتحف"

أسألها مرة أخرى:

"هل يمكنني أن أكمل تواجدي معكم"

خديجة تمسكني من ذراعي وتؤكد قائلة:

"أرجوك ابقى معنا، يبدو أنني وجدت أفضل مساعداتي في الإخراج، ولكن هل يمكنك أن تقدمي لي معروفا، أنا جائعة جدا، هل يمكنك أن تذهبي لشراء الكشري من المحل هنا بجانبنا"

"كشري! ما هذا"

تضحك خديجة:

"أنت لا تعرفين أهم الأكلات المصرية! هو خليط من المكرونة والعدس والأرز والبصل والحمص وصلصة الطماطم، أرجوك أحضري علبتين، واحدة لك وأخرى لي، يجب أن نقوي أنفسنا ونستعد للمشاهد القادمة وتستعدّي أنت أيضا لأن تقدمي لي بعض المساعدات في وضع الكاميرا والتصوير"

أقول لها:

"سأذهب سريعا وأتي في الحال"

*

في الأيام التالية أخذتُ في حفظ نصوص المسرحية بجنون، وهذا يعني أنني كنت أحفظ دورين، دور زوجة إيلس ودور كيلير. لقد عرفت بعد تصوير الفيلم أن السينما والمسرح هما العملان الوحيدان اللذان يمكنهما أن يُنسياني علاقتي بسليم.

ويمر الوقت سريعا وإذا بتدريبات نهاية الأسبوع قد بدأت، تقوم السيدة إشفيجر في الصباح الأول بعمل العديد من الألعاب والتدريبات التمهيدية مثل

التصفيق والجري في المكان وإلقاء بعض الكلمات كنوع من الإسقاط. يوسف ورامي يحاولان انتهاز كل الفرص للظهور، وفي كل مرة كانا يقطبان وجههما بشكل غريب، في المرة الثالثة حينما فعلا نفس الشيء، نهضتُ من مكاني بكل عزة ورفعت يدي متجهة إليهما حتى أظهر ما أنوي أن أفعله، ذهل الاثنان وبقيا متصلبين في مكانهما.

في الداخل كنت في غاية البهجة وفي الخارج كنت أصرخ فيهما بشكل تلقائي بعد أن مررت بهما وجلست مع الآخرين في وسط المجموعة الأخرى، تنادي السيدة إشفيجر من بعيد وتقول:

"رامي .. يوسف هل تحتاجان إلى دعوة بشكل شخصي حتى أن أتكلم معكما فيما فعلتماه"

يجلس الاثنان في حرج بجانبنا على الأرض، السيدة إشفيجر تتنحنح وتقول:

"اليوم نريد أن نقوم بالتدريب ولكن بشرط أن ننسى كل ما حفظناه من نصوص، ونقوم بدلا من ذلك بأداء التمثيل بشكل حركات البانتومايم، على سبيل المثال يمكنكم أخذ نفس مواضع التمثيل ولكن تفعلون كل شيء بدون كلمات"

تظهر في الحال اعتراضات مضادة:

"وكيف يمكن أن نقوم بفعل ذلك"

"ولماذا يجب أن نقوم بهذا الشيء"

السيدة إشفيجر تنتظر قليلا حتى يحل الهدوء في المكان ثم تبتسم قائلة:

"نحن نريد بالتأكيد أن نقوي من انفعالاتنا وتعبيرات أجسادنا أثناء التمثيل، ولذلك أرى أن أفضل شيء يمكنه أن يساعدنا في ذلك هو القيام بالتمثيل دون لغة الكلام حيث سيتم الاعتماد على لغة أجسادكم فقط"

تعتلي ظهري قشعريرة باردة، أواسي نفسي بأن أتمنى أن لا أكون أول من يصعد على خشبة المسرح، وفجأة يصبح كل شيء هادئا.

وفي كل هذا الهدوء في المكان كان الجميع يتفادون نظرات المدرسة، وامتد الصمت مرة أخرى في المكان، ولم يرغب أحد في أن يرفع يده للبدء، لكنني أرفع إصبعي بنوع من الحذر وأقول:

"يمكنني أن أبدأ بالمشهد الذي أخذت فيها زوجة إليس لوحة زوجها من الرسام وقامت بخداع زوجها للحصول على مال من كيلير"

تقول الأستاذة إشفيجر:
"أشكرك جدا، إنها فكرة جيدة، محمد يمكنك مساعدة كيارا على خشبة المسرح"
محمد يناولني اللوحة، آخذها من يده وأتفحصها وأترك السعادة تظهر على وجهي، يشير الرسام إلى لوحة غير مرئية وينظر إليَّ بنوع من التمعن باحثا عن مكان لتعليق اللوحة، وأترك يدي ترتعش أثناء ذلك، أرفع رأسي لأعلى وكأنني أتجه بنظري نحو غرفة النوم عبر السطح حيث كان زوجي يصعد ويهبط من الطابق الأول إلى الأرضي. يسري خوف في جسدي، لكنه يختفي مرة أخرى. أنظر إلى الرسام نحو مسافات بعيدة خلفه بخليط من الأمل وتأنيب الضمير.
يصيح الآخرون:
"برافو.."
أتوجه مع محمد لتحية الجماهير، وأثناء انحنائي ألاحظ أن ياسمين كانت تصفق لي بشكل حقيقي وإعجاب ظهر في وجهها. تقول السيدة إشفيجر:
"هذا هو تماما ما كنت أعنيه، لابد أن تشعروا تماما في أعماقكم بما تشعر بها الشخصية التي تقومون بأداء دورها والتمزق والنزاع بين كل هذه المشاعر"
تبحث السيدة إشفيجر بنظرها بين كل الموجودين وتقول:
"من يريد أن يقوم الآن، ربما تريد ياسمين"
تقول ياسمين رافضة ذلك في تلعثم:
"نعم لكني اليوم غير مستعدة على الإطلاق وليس لديَّ الحضور المناسب"
قلت لنفسي: هل هي غارقة في التفكير في سليم!
تتحدث السيدة إشفيجر في ضيق وتقول:
"خسارة يا ياسمين كلما تَدَرَّب المرء أكثر أصبح ممثلا ماهرا، لكن هذا هو قرارك"
في هذا الوقت يقوم طالبان بالصعود إلى خشبة المسرح، أغلق عيني أثناء ذلك فأري فم سليم أمام وجهي، قلت لنفسي: لن أقبلك أبدا يا سليم، ولكن كيف لي أن أتحمل ذلك إلى الأبد!

الفصل الثالث عشر

تسألني أمي بقلق:
"ألم تنسى شيئا، حقيبة الأدوية الصغيرة، شهادة التطعيم، وجواز السفر"
أقاطعها قائلة:
"أمي! لن أذهب إلى آخر العالم، إنها فقط رحلة إلى صعيد مصر لمدة أسبوع واحد"
حاولت أن تبتسم وقالت:
"أعلم أنك لن تكوني وحدك وأن زملاءك من المدرسة والمدرسين سوف يكونون معك ولكن من اليوم سوف تنتقلين بالسيارة والطائرة والمركب، إنها أحداث كثيرة تستدعي أن أقلق عليك"
يقول أبي:
"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، سوف تعود لنا كيارا إن شاء الله بأفضل صحة!"
ينظر هانو إلى ساعة المطبخ ويقول:
"إذا لم نسرع فلن تلحق كيارا الطائرة"
أسأله:
"يعني لن تذهب لميعادك مع مايكه"
يقول هانو:
"لقد انتهت العلاقة بيننا، كانت غبية"
أبتسم قائلة:
"قرار صائب"
حمل والدي حقيبتي إلى السيارة، كانت الخادمة والطباخة في انتظاري ليودعاني، احتضنتاني بقوة وحب، وكأنني "كيلير" بطلة المسرحية التي وصلت إلى طنطا وتم استقبالها تمامًا كشريرة غريبة على المكان.
يسرع أبي بالسيارة، كانت الشوارع كالمعتاد شديدة الازدحام، لكنه أخذ طرقا جانبية يمينًا ويسارًا ليتفادى الزحام المستمر. تقول أمي:
"إنك تقود السيارة مثل المصريين"

يقول أبي:
"شكرًا على المجاملة"
يدير عجلة القيادة بشدة:
أنظر إلى هانو فيرفع كتفيه بلامبالاة، ويقول متضايقًا:
"الهواء ثقيل وخانق"
تنظر أمي نحوي إلى الخلف وتقول:
"سوف أفتقدك يا حبيبتي!"
أقول:
"وأنا أيضًا، وعلى كل حال أتمنى أن أرى رسومات جميلة عندما أعود من السفر"
تبتسم أمي ابتسامة قصيرة وتقول:
"ربما يقدر بابا على الذهاب معي إلى النادي"
يتصنع أبي عدم السماع، وتدير أمي وجهها ناظرة إلى الشارع.
حقًّا إنني سعيدة ببعدي عن المكان هنا لمدة من الزمن، سأبتعد عن المشاجرات، فمنذ انفصالنا (مر الآن أكثر من شهر) ونحن نتقابل بالصدفة كل يوم ولكنه يُسلم عليّ بسطحية وبرود وكأننا لم نتعرف على بعضنا البعض من قبل، إنني أفضل أن لا نسلم على بعضنا البعض إطلاقًا. أنظر من نافذة السيارة وأتمنى أن أبتعد عن سليم أكثر مع كل كيلو متر تقطعه السيارة.
أخيرًا وصلنا إلى المطار، من الممكن منع أمي من الدخول معي في الزحام ومكان تجمع المدرسين والطلاب. قالت أمي:
"حافظي على نفسك"
ويقول هانو:
"تمتعي بالحرية"
يحتضنني أبي ويقول:
"سلامي للفراعنة"
أذهب دون النظر إلى الخلف، أسحب حقيبتي على الأرض متجهة نحو نقطة التجمع.
رأيت جبلاً من الحقائب والأكياس يتوسطهم التلاميذ بصوتهم الصاخب والمدرسين المتوترين. معنا أربعة مدرسين فقط وهم: السيدة إشفيجر، واثنان من مدرسي الفصل ومدرس آخر مصري.
تلوح لي مريم بعد رؤيتها لي وتنادي كالمجنونة:

"أهلاً يا كيارا!"
أقول:
"أهلاً يا مريم"
احتضنا بعضنا البعض بحرارة. أضع حقيبتي على الأرض ثم أضع الشال الأخضر الذي اشتريته من البازار على كتفي، أعتقد أن الجو سيكون باردا داخل الطائرة. أسمع كلاً من دينا ورامي يتغامزان ويتكلمان باللغة العربية ويشيران إليَّ، أقول لهما:
"أنتما تتحدثان الألمانية بطلاقة، يمكنكما ترجمة ما كنتما تتحدثان عنه؟"
دينا تنظر إليَّ في ذهول ويبدأ رامي في الضحك المكتوم ويقول:
"كنا نقول أنت تبدين اليوم رائعة بهذا الشال مثل الممثلات المشهورات"
كنت أعلم أنه يكذب ولكني لم أهتم بالأمر، أنظر إليهما في كبرياء وأقول:
"شكرًا"
يجتهد الاثنان في كتم ضحكتهما. تتعلق مريم بذارعي وتهمس لي قائلة:
"رد فعلك كان رائعا يا كيارا"
ينادى مدرس الفصل العاشر السيد "توماس" ويقول:
"هيا يا أولاد"
تتحرك مريم بجانبي وتقول:
"إنني سعيدة جدًّا"
أقول:
"وأنا أيضًا سعيدة جدًّا"
وكان ما قلته حقيقيا.
الأقصر ١ مارس
اشتريت لنفسي كراسة خاصة لأدون بها يوميات الرحلة.
كنا على مركب شراعية حقيقية تمامًا مثل التي وصفتها "أجاثا كريستي" في روايتها "جريمة قتل على النيل" ولكني أتمنى بالطبع أن أعود إلى أهلي على قيد الحياة. وصلنا إلى الأقصر منذ خمس ساعات، هبطت الطائرة في مطار صغير. وأول ما شد انتباهي كان الجو. إنه حار جدا مقارنة بالقاهرة ورائحته لها مزيج بين الرمال والأرض الساخنة. ولا عجب فإننا في أقصى الجنوب. ودرجة الحرارة أكثر ارتفاعًا عن القاهرة وتصل إلى ست وعشرين درجة مئوية!

ركبنا أتوبيسًا متوجهين نحو المركب ووضعت حقائبنا وربطت فوق سطحه، مشينا خلال ثلاثة قوارب حتى نصل إلى قاربنا، حيث كان هناك مراكب كثيرة مرصوصة وراء بعضها البعض عند الشاطئ.

كان سكني مشتركًا مع مريم في كابينة نوم واحدة، تقع الكابينة في مقدمة المركب وبها شرفة وشازلونج وحمام سباحة وأسفل المركب يقع المطعم الذي نتناول منه الإفطار.

وبمجرد وصولنا إلى الأقصر تحركنا جميعا لرؤية معبد الأقصر. غربت الشمس لتسقط بين صروح وأعمدة المعبد ثم جاء القمر هلالاً في منتهى الروعة كأنه نور الله ينزل بين الحوائط.

وكان تمثالا رمسيس ينظران إلى السائحين المبتسمين نظرة عظمة وكبرياء.

في الأزمنة الغابرة لم يكن ليسمح لنا نحن العوام من الشعب الفاني الدخول إلى المعبد، فقط سمح بذلك للكهنة والفراعين.

كان الكهنة يحملون المركب المقدس مرة واحدة في العام بعد أوقات الفيضان ليدخلوا بها إلى المعبد عبر ممر تماثيل أبو الهول حتى يصلوا صلاة الشكر للحصاد المثمر.

لقد بدأت أدرك ولع أبي الشديد بمصر، لقد قرأت والتهمت كَمًّا كبيرا من الكتب عن مصر القديمة في الأسابيع الماضية، كم أتمنى أن أسافر عبر الزمن وأقوم بتصوير فيلم عن الفراعنة وأعود به إلى زمننا هذا، كنت سأتحول في سفري مرتدية زى الكاهنة كي أستطيع الدخول إلي المعبد كما أشاء.

أفكر فيك مرة أخرى يا سليم، هل سترغب في مشاهدة فيلمي ؟

ماذا تفعل الآن، أتعزف على الكمان؟ اعزف لي مقطوعة موسيقية جميلة كي أستطيع أن أنام.

لا، لا تفعل فربما أحلم بك مع ياسمين. فهي معنا أيضا في هذه الرحلة، أتمنى أن أستطيع الابتعاد عنها أطول وقت ممكن.

يرن المنبه الساعة الخامسة صباحًا، تنهض مريم مسرعة من السرير وتقول:

"استيقظي يا كسلانة، ألا تريدين مشاهدة وادي الملكات؟"

أقول:

"طبعا أريد أن أشاهده، ولكن هذا لا يعني أن نذهب إلى هناك في منتصف الليل"

تضحك قائلة:
"لأن الشمس ستصبح حارقة في منتصف النهار"
أقتنع بما تقول وأقوم على الفور وأخذ حمامًا كي أستيقظ.
نتجمع بعد الإفطار في الصالة الرئيسية للمركب ويقوم المدرسون بإحصائنا واحدًا تلو الآخر. تسأل السيدة إشفيجر:
"هل رأى أحدكم ياسمين"
تقول نورا زميلتها بالغرفة:
"لقد أيقظتها مرتين ولكنها أكملت نومها، ربما مازالت في السرير"
تنظر السيدة إشفيجر إلى ساعة يديها وتقول:
"لا يمكننا انتظارها وإلا تعطلت خطة الرحلة بسببها"
تلقي نظرة سريعة على السيد راتب المدرس المصري:
"إن لذلك عقابًا سيئًا"
أشعر بزوال الهم من فوق قلبي، فلن أضطر إلى الابتعاد عنها!
يشقشق الصباح أثناء تحركنا بالباص ونعبر فوق جسر مارين على حقول القصب لنتجه نحو الضفة الأخرى من النيل، وفجأة تظهر الصحراء بعدها بقليل. ننحني في شارع مليء بالغبار وبعد قليل يقف الباص في موقف انتظار. أخيرا تشرق الشمس، يقول السيد راتب:
"هيا فلينزل الجميع، سوف نكمل السفر بعربات مخصوصة"
ألتصق بجوار مريم في عربة صغيرة يقودها شاب مصري يرتدي جلابية تأخذنا حتى بداية الوادي.
ويبقى السيد راتب منشغلاً بشراء التذاكر وتوزيعها علينا. تقول السيدة إشفيجر:
"للأسف إنه غير مسموح لنا عمل أي تعليقات أو شروح داخل المقابر، سوف نقسم أنفسنا إلى ثلاث مجموعات أو أكثر لمشاهدة ثلاث مقابر ثم نتحدث عنها عندما نلتقي بالخارج، والذي يتوه عن مجموعته عليه أن يعود إلى منطقة الالتقاء وسوف نلتقي بعد نصف ساعة من الآن"
أحرص على البقاء مع مريم في مجموعة السيدة إشفيجر، حيث أن معها أيضًا دينا، ويوسف ورامي وكاترينا.
ندخل مقبرة توت عنخ أمون، كان الجو بالداخل رطبًا وخانقًا. وبمقارنة كنوز ومحتويات المقبرة المعروضة في المتحف المصري أشعر على الفور

بصغر وخواء المقبرة، أفكر مندهشة من كيفية حشرهم للمحتويات داخل هذه المقبرة الصغيرة. أنادي على مريم وأشير إلى رسومات المقبرة:

"انظري للقرد المرسوم، ترى ماذا يمثل ذلك لهم"

أخذ يوسف ورامي يصدران أصوات قردة من خلفي. أحرك يدي عند رأسي بشكل يظهر لهم علامة الجنون ثم أكمل سيري. مريم توضح لي أن القردة كانت تفتح البوابات إلى العالم الآخر وتقول:

"هل ترين زورق الجعران؟ إن الجعران يرمز إلى الشمس، سينتقل الفرعون عبر هذا الزورق إلى العالم الآخر"

تتثاءب كاترينا بشكل واضح. تقول لها السيدة إشفيجر بغضب:

"إذا كنت تشعرين بالملل يمكنك الخروج من المكان"

وكأن كاترينا كانت في انتظار هذه الجملة، تحسست طريقا إلى الخروج ولكنها تتعثر وتقع بقوة.

"آه"

أسرعت السيدة إشفيجر نحوها

"هل أصابك مكروه، ألا يمكنك الوقوف؟"

تحاول ولكنها لا تقدر من شدة الألم وتمسك بساقها ويظهر تألمها على وجهها.

تتفحص السيدة إشفيجر قدميها وتقول:

"أعتقد إنها كُسرت! هل يمكنكم مساعدتي؟ سنحمل كاترينا"

أسرع أنا ومريم لنحملها نحن الثلاث، تقول السيدة إشفيجر:

"لا تخافي، سوف نحملك إلى المستشفى"

تصرخ كاترينا فجأة:

"لا أريد أن أدخل مستشفى مصرية!"

ترد السيدة إشفيجر:

"ولِمَ لا، أرجوك لا تكوني بلهاء"

يزداد احتداد "كاترينا" فنضطر إلى وضعها مرة أخرى على الأرض وتذهب السيدة إشفيجر لإحضار من يساعدها من الخارج، بينما تلتف مجموعتنا حول كاترينا:

"يا لك من مسكينة"

"تماسكي"

"بالتأكيد الأمر ليس خطيرا"

تركع مريم بجانبها وتمسح شعرها بيدها، وتهدأ كاترينا وتكرر بهدوء جملة واحدة في غياب ونشوة روحية:

"أريد أن أعود إلى ألمانيا، أريد أن أعود إلى ألمانيا"

منظر داخلي/ نهار

ألمانيا ـ مدينة صغيرة ـ منزلان متجاوران ـ غرفة كيارا.

تجلس كيارا مع دورو على كنبة حمراء ويشاهدان التليفزيون، كانت هناك ورقة يناصيب في يدها، تحول إلى صورة التليفزيون، برنامج لمسابقة اليانصيب للرحلات السياحية إلى جميع البلدان، مقدم البرنامج يتحدث بحماس ويقول:

"إن رحلتنا القادمة إلى منطقة أسطورية، إلى بلاد الفراعنة. أسبوعين كاملين كحلم من الخيال في انتظار الفائز. أسبوع لرحلة نيلية وأسبوع آخر في القاهرة، إنها رحلة لفردين.

دورو(ضاحكة):

"إن فوزك بالرحلة سيكون بمثابة كابوس"

كيارا:

"اطمئني ليس لديَّ حظ في مثل هذه الأشياء"

تدق الطبول، يمسك المقدم الورق الفائز ويدق على الطبلة الكبيرة ويفصح عن الفائز في بطء شديد. المقدم:

"والآن.. الجائزة.. الجائزة.. لسعيدة الحظ.. كيارا لورنتس!"

إضاءة على وجه كيارا المتخشب من المفاجأة والممتلئ بابتسامة سعيدة بعد ذلك. كيارا تقفز عاليا

"لقد فُزت .. فُزت .. لقد فُزت!"

(دورو ذاهلة)

إنك سعيدة! كنت أعتقد بأنك لا ترغبين في العودة مرة أخرى إلى هناك؟

كيارا:

"بلى، أرغب في العودة إلى القاهرة، كم أشتاق إلى الناس والأماكن والشمس والمعابد والتسوق في المول"

دورو:

هل ستأخذيني معك؟

كيارا:

(بغضب)

"لا أعلم، ربما لن أذهب مع أحد ولكن بمفردي، إنك لا تستطيعين مشاهدة البلد والاستمتاع بها إلا بمفردك"

تجلس كيارا على الكنبة وتقول في نشوة:

"القاهرة.. القاهرة"

تعود السيدة إشفيجر مع السيد راتب الذي يقول:

"أعرف مستشفى جيدة، لا تقلقي يا كاترينا سوف تجدين عناية فائقة"

ثم حمل كاترينا بذراعيه القويتين ووضعها في السيارة الصغيرة. تنظر السيدة إشفيجر إليهما وتقول:

"يا للحظ السيئ"

أقول:

"نعم، لم يكن في الحسبان أن يحدث لها ذلك في بداية الرحلة"

تنظر السيدة إشفيجر موافقة وهي تفكر في شيء ما وتنظر إليَّ. أسألها:

"ماذا هناك؟"

تقول:

"لا شيء، أفكر في شيء ما"

أسوان ٦ مارس

لم أستطع للأسف أن أكمل كتابة يومياتي بسبب كثرة الأحداث، ولكن الأهم في كل هذه الأحداث هو أن ساق "كاترينا" قد كُسرت بالفعل وثم تجبيسها، وكتب الجميع شيئا لها على الجبس، ثم أتت أمها وعادت بها إلى القاهرة وخاصة أنها كانت مضطرة إلى المكوث في المركب بلا حركة بسبب الجبس. وتأخرت ياسمين في النوم لليوم الثاني على التوالي مما أدى إلى عقابها وبقائها في المركب لمدة يوم كامل.

والأهم من ذلك كله وهو أهم الأخبار، أن السيدة إشفيجر أسندت إليَّ دور البطولة في المسرحية "كيلير" لأن كاترينا في الجبس وياسمين مهملة.

لم أصدق أنني سوف ألعب دور البطولة ووافقتُ في الحال! اندهش الجميع من الخبر الجديد وهنئوني به ولكن ياسمين الوحيدة التى كانت في شدة الضيق، أصبحت غير قادرة على احتمال الوقت بصبر حتى نعود سريعا إلى القاهرة. رغم أن الرحلة كانت ممتعة جدًّا.

سافرنا بالمركب عبر إسنا وإدفو إلي أسوان، أشياء جديدة وجميلة. نخيل وقصب السكر. أكواخ من الطين وأسوار وهضاب صخرية وأحيانًا تبدأ

الصحراء مباشرة وراء الشط. لن أنسي رائحة النيل الممزوج بالطمي والقش، ممزوجًا بالدفء، شيء ما لا يمكنني وصفه.

كانت المعابد في إسنا وإدفو مختلفة نوعًا ما عن معبد الكرنك الكبير، ورغم صغر حجمها كانت جميلة أيضا، وأجمل ما رأيتُ هناك هو نقش عن أول مسرحية في تاريخ البشرية، مسرحية كانت تحكي صراعًا منقوشًا على جدران المعبد ما بين ست وأخيه، ثم ما بين ابن أخيه حورس وجاءت حكمة أخلاقية:

"وبعد المعركة أصبح كل شيء كما كان قبل المعركة، الشر بقى كما هو على الأرض، واتخذ رمزا في الخنزير، بقى متواجدا داخل كل إنسان، وأصبح بمقدور كل نفس أن تترك لجامًا للشر أو تتحكم فيه"

لا أريد أن أترك لجام الشر إلا فوق خشبة المسرح.

قمنا اليوم بزيارة السد العالي في أسوان، وحديقة النبات ومعبد إيزيس في جزيرة فيله وذهبنا مساءً إلى مقهى.

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصل الرابع عشر

بعد مرور شهرين ونصف يدق باب غرفتي فأنادي بصوت نائم:
"ماذا جرى؟"
لحظات وكانت كل أسرتي واقفة في الغرفة وتغني لي أغنية عيد الميلاد، أمي تمسك بين يديها كعكة عيد الميلاد بها ستة عشر شمعة ثم تضعها على الكوميدينو بجانب السرير. تقول:
"أطفئى الشمع وتمني شيئًا!"
أنفخ الهواء قدر استطاعتي وأتمنى أن لا يحدث شيء ألوم نفسي عليه أثناء العرض المسرحي. أبي يضع علبة مسطحة بين يدي ويقول:
"كل سنة وأنت طيبة يا كيارا"
أنزع ورق العلبة لأمسك بين يدي كتابًا للمؤلف "كيت چونستون" فأنظر إلى أبي في تساؤل:
"هو مؤسس مسرح الارتجال، الكتاب به العديد من المسرحيات وقصة حياة المؤلف"
أتذكر أن السيدة "إشفيجر" قد ذكرت مرة اسم هذا المؤلف:
"شكرًا يا أبي هو كتاب جميل"
يقدم "هانو" سي دي موسيقى ويقول معتذرًا:
"للأسف لم أجد ورقًا أضع فيه الهدية"
من النظرة الأولى أتعرف على وجه عمرو دياب، يقول "هانو":
"ربما الآن أصبحت تحبين الموسيقى المصرية"
"نعم هذا صحيح، إن أغانيه فعلاً جيدة، لقد استمعت إلى بعضها عند أحد الأصدقاء، أشكرك"
يغمر هانو شعور بالارتياح، وفي النهاية تضع أمي ظرفًا في جيبي، أتحسسه وأعرف أن بداخله عملة ورقية:
"لأنني أعرف أنه قلما ما أرضيت ذوقك، فهذه المرة سأتركك تختارين ما يعجبك"
"شكرًا يا ماما"

ماذا حدث اليوم لعائلتي، هم على غير العادة شديدو اللطف معي. هل يحتفظون ويكتمون لطفهم طوال السنة عدا قبل سفري أو مناسبات عيد ميلادي. ينظر أبي إلى ساعة يده ويقول:

"يجب أن أذهب الآن، عندي مؤتمر صحفي هام، اعذريني يا "كيارا" إنني لن أستطيع أن أفطر معك"

يعطني قبلة سريعة ويختفي، أمي ترد عليه بنوع من الضيق:

"نتمنى لك يومًا سعيدًا"

إذن فلم يتغير شيء كما ظننت. تبتلع أمي ضيقها وتبتسم لي:

"على فكرة هناك مفاجأة في انتظارك في الصالة"

أهبط السلالم بسرعة وأتساءل عن هذه المفاجأة، وأجد مريم تقف في منتصف الصالة، أحتضنها وأقول:

"ما الذي جاء بك إلى هنا"

ترد هي قائلة:

"يعني، رغبت أن أمر عليك وأهنئك بمناسبة عيد ميلادك"

"كم هذا لطيف منك، هيا سنفطر كلنا معًا"

نجلس على المائدة المفروشة وأقطع أول جزء من التورتة، ومع ابتلاع أول قطعة تقول مريم بعد أن تبتسم لي:

"ألم تسألي نفسك لماذا لم أحضر لك هدية معي"

أرد قائلة:

"أنت هديتي"

تتسع ابتسامة مريم:

"من الصعب أن أقوم بنقل الهدية إلى هنا، لكنه يجب عليك اختطافها وأن تتحصني بقبعة ونظارة شمسية"

"أنت تجعلين الأمر أكثر تشويقًا، هيا بنا نذهب الآن"

تقول مريم:

"أنا موافقة"

أحضر بقية أشيائي من أعلى وأسلم على هانو وأمي التي تسأل:

"متى ستعودين"

أنظر إلى مريم فتقول:

"سأعود اليوم في المساء"

تأخذ مريم الطريق إلى النيل فأسأل:

"هل تنوين أن نذهب للسباحة"

"لا، مياه النيل ليست نظيفة، سنقوم بعمل شيء أفضل من ذلك كثيرًا"

هي لا تفصح أكثر من ذلك عن الأمر، حينما نصل إلى شاطئ النيل أجد نصف زملائنا في الفصل في انتظارنا، دينا وليلى، يوسف ورامي وآخرون، مع جميع من سافرت معهم إلى رحلة الصعيد، ومن أخرج معهم إلى السينمات والكافيتريات.

أحصل على كم هائل من قبلات عيد الميلاد، بعد ذلك تأخذني كل من مريم ودينا لنهبط إلى المرسى، فتشير مريم نحو قارب شراعي.

"القارب هو اليوم ملكنا، سنحتفل فيه طوال اليوم بعيد ميلادك"

تصيح ليلى:

"هذه هي مفاجأة عيد الميلاد"

أقول لهم في ذهول:

"أنتم مجانين، من أين عرفتم أنني أرغب منذ زمن طويل بعمل رحلة في فالوكة"

يقول رامي:

"إذن فقد آن الأوان، هيا نذهب"

سائق القارب كان رجلاً شابًا ببشرة سمراء يرتدي جلبابًا ويساعدني للدخول إلى القارب المتمايل، كان قماش المقاعد مزركشًا بالزهور، وشراع القارب كان يمنحنا ظلاً، أبحث عن مكان أسفله حتى لا أصاب بضربة شمسية، بدأ الجميع يدخلون القارب ومع جلوسهم لم يعد هناك مكان خالٍ داخل القارب، يسأل السائق:

"هل أنتم مستعدون"

نصيح جميعًا:

"نعم"

يبدأ سائق القارب في الإقلاع بمهارة ليمر بجانب القوارب الأخرى، وفي الحال نشعر بالهواء يلطف المكان وتتحرك رياح حفيفة في الجو، ليلى ويوسف يخرجان ما أحضروه داخل أسبتتهم، محشي ورق عنب، فطائر وحلويات وكوكاكولا. يقول يوسف قبل أن ينقض على الفطائر:

"حتى لا تموتي جوعًا في يوم عيد ميلادك"

أنظر إليه ضاحكة وأقول:

"أنتم فعلاً رائعون، هذه هي أفضل هدية عيد ميلاد حصلت عليها في حياتي"

تقول مريم وقد امتلأت عيناها بالفخر:

"أرجوك لا تُبالغي في الأمر"

أستند إلى الخلف وأترك الهواء يُلطّف أنفي، ويسير القارب بهدوء مارًّا بالمباني الشاهقة عبر منطقة المعادي. أشاهد انعكاس الشمس في الواجهات الزجاجية الفخمة ويأتي ضجيج المدينة وكأنه صدى صوت ضعيف نحونا، هكذا يمكن أن أعيش الهدوء في القاهرة.

في هذه اللحظة أسمع صوتًا صاخبًا لموسيقى عربية، لقد أحضر رامي سي دي معه وأداره على أعلى درجة صوت. كنت على وشك أن أطلب منه خفض الصوت ولكن الجميع بدءوا يصفقون ويغنون مع الموسيقى ويتمايلون على الأرائك معًا حتى مال معهم القارب على جانبه وبدءوا يبتسمون وينظرون إليَّ. في نهاية المطاف لم أقدر على فعل شيء غير التصفيق والغناء والتمايل معهم حتى ضاع صوتنا من كثرة الغناء.

فجأة يقفز يوسف من مكانه ويخرج الكاميرا مما يجعل مريم والآخرين يقفون حولي لأكون في منتصف إضاءة التصوير، أصرخ واضعة يدي أمام وجهي:

"كفى"

تشد دينا يدي مرة أخرى:

"يجب أن تعتادي على ذلك فإنك ستصبحين مشهورة عن قريب"

أقول في سخرية ضاحكة:

"نعم أنا والشهرة"

تضع دينا يدها أمام فمها وكأنها تتكلم في ميكرفون وتقول منادية:

"اسمعوا! هنا تجلس معنا كيارا لورنتس الساحرة التي تقوم بعمل دور "كيلير"، كيارا هي نجمة الغد ويمكنكم التشرف بالاحتفال معها بعيد ميلادها، ترفع مريم علبة كوكاكولا إلى أعلى وتقول منادية:

"في نخب كيارا"

أشرق أثناء شربي الكوكاكولا.

بعد ذلك بأسبوعين لم أعد قادرة على الضحك إطلاقًا. أجلس في غرفة تغيير الملابس أمام طاولة المكياج وأشعر بوجع في بطني وببرودة يدي بسبب الخوف. أحاول بهذه اليد الباردة أن أضع المكياج فوق رموشي.

لأول مرة أستخدم علبة المكياج التي أهداها هانو لي، لكن الفرشاة تنزلق من فوق الرمش.

يدق الباب وتدخل السيدة "إشفيجر" وألمح من حركتها السريعة، أنها أيضًا مضطربة:

"كيارا، أريد فقط أن أتمنى لك التوفيق، ستؤدين الدور ببراعة وتذكري دائمًا أن النص ليس هو أهم شيء، بل الأهم هو أن تبقي طوال الوقت في دورك، وفي حالة نسيانك لأي جملة في النص فيمكنك الارتجال بما يتناسب مع شخصية كيلير"

"لقد تدربت جيدًا على الارتجال"

حاولت أن أتماسك أثناء كلامي لأكون واثقة من نفسي، السيدة "إشفيجر" ترفع إصبعها علامة على مساندتي، مع خروجها تهبط معنوياتي مرة أخرى إلى الحضيض، أمسح مكياج الرموش، لم يبق من المكياج غير إصبع أحمر الشفاه وبعد ذلك سأضع الباروكة. مع انتهائي من أحمر الشفاه يدق الباب مرة أخرى فأسأل:

"من هناك"

"أنا مريم"

"ادخلي"

ترتدي مريم فستانًا أسود، كان مكياجها رائعًا وبدت مندهشة، أقول لها:

"ألا يمكنك أن تمثلي مكاني على خشبة المسرح"

تقول في استياء:

"ومن سينفعه ذلك، سيصبح وجهي أحمر من الخجل ولن أستطيع أن أتكلم بجملة واحدة.

أتنهد قائلة:

"بالتأكيد سيحدث لي نفس الشيء"

"كلام فارغ، لن يحدث شيء من هذا القبيل وستؤدين دورك ببراعة"

"لقد قالت السيدة إشفيجر نفس الشيء"

"تمام، هل ترغبين أن أساعدك في ارتداء الملابس"

"بكل سرور"

كانت الباروكة رمادية الشعر ودخلت بعد ثلاث محاولات فوق رأسي بالقوة:

"أشكرك يمكنني أن أرتدي بنفسي بقية الملابس"

تودعني مريم وتقول:
"أتمنى لك التوفيق"
بعد خروجها أخرج العطر الذي كان سليم قد أهداه إلى□، اليوم سيتناسب هذا العطر مع هذه السيدة الغنية. أضع بعض القطرات مع دق الباب مرة أخرى:
"أنا أحتاج فعلاً إلى الهدوء"
أرى في المرآه شخصًا يفتح الباب: إنه سليم! أبقى في مكاني أنظر إليه وأقول له:
"معذرة، أنا لم أَعْنِكَ بجملتي هذه"
يفتح "سليم" مترددًا الباب على آخره، كان يضع صندوق آلة الكمان أسفل ذراعه:
"كل ما كنت أتمناه هو التوفيق وأن تنالي ورودًا وتصفيقًا وشهرة.
أردّ محاولةً أن لا أنظر إلى عينه الرائعة، أشير إلى الكمان وأسأله:
"هل لديكَ دروسٌ في الكمان اليوم"
"لا، كنت أرغب في القيام بالعزف لك حتى أشغلك قليلاً عن حالة الاضطراب قبل العرض، طبعًا إذا كان لديك الرغبة"
أهزّ رأسي بالإعجاب:
سليم يُخرج الكمان ويضعه تحت ذقنه ويبدأ في العزف، موسيقى عربية ناعمة تتداخل نغماتُها وتتكرر.
أغلق عيني وأصنع فيلمًا في خيالي، أراني أنا وسليم فوق خشبة المسرح، هو يعزف الموسيقى فتتبخر رغبتي في الانتقام منه. تزداد سرعة عزف سليم وتتسارع صور من حبنا وراء بعضها البعض، ويسرع سليم أكثر في العزف لتتدفق الصور فأدوخ من سرعتها وكأنني درويش يرقص مع نغماته ويدخل في حالة من النشوة الروحية.
فجأة يتوقف سليم عن العزف وينزل الكمان. يتحرك في هدوء نحوي ويحتضنني بقوة ويقول هامسًا:
"أنا آسف"
عندما يتركني مرة أخرى أشعر بخفتي، وكأنني بدأتُ في التحليق. أمرُّ بسليم وهو يتجه نحو خشبة المسرح، ومع الداخل أشعر بأن كيلير تتقمص كل جسدي وأشعر بالجمهور بعيدًا عني تمامًا. يقول نور:
"جميل أنك أتيت"

أرد:

"لقد كنتُ أنوي طوال حياتي العودة مرة أخرى إلى طنطا"

وأنسي الزمان وأنساه تمامًا وأمثل دوري حتى سقوط الستار. يدًا بيد أظهر مع الممثلين متشابكين أمام الجمهور. ويغمرني تصفيق المشاهدين. أنحني للأمام تحية لهم وأدرك في هذه اللحظة شيئًا. حتى بعد نهاية إقامتي في القاهرة بعد ثلاث سنوات، فسوف أعود إليها.

فمن يشرب من ماء النيل لابد أن يعود إليه.

تمت

obeikandl.com